مجد طلافحه

سماء المجد

خلف السماء أحلامنا
ورب السماء كريم

نصوص

كتوباتي
kotobati

سماءِ المجد

خلف السماء أحلامنا

ورب السماء كريم

مجد طلافحه

مجموعة خواطر

الكتاب: سماء المجد .. خلف السماء أحلامنا، ورب السماء كريم

تأليف وتدقيق: مجد طلافحه

النوعية: خواطر

الإصدار: 2022

التصميم والتنسيق: مكتبة كتوباتي

النشر الإلكتروني: مكتبة كتوباتي

support@kotobati.com

www.kotobati.com

كل الأفكار المذكورة في الكتاب لا تعبر عن مكتبة كتوباتي.

وكل الحقوق محفوظة لدى المؤلف.

الفهرس

الإهداء 6
الْمُقَدِّمَة 7
جُرْعَة جَمَال 8
وَالِدَيّ 11
شُرُود قَمَر 13
الْمُضِي قُدمًا 15
ذوبان شمعة 16
تَمنيتُ لو 17
ابتسم 18
رَسائل لن تَصِل 21
صديقي المُفضَّل، إليكَ لوز 23
شعور مُنهك 25
ضميني 27
نقاء سماء 28
مَا قَبْلَ النَّوْمِ 29
أتساءل مَا قَبْلَ النَّوْمِ 30
كَمْشَة أمَل 34

خذلان متكرر 40
تَحْتَ ضُوءِ القَمَر..... 42
القرآن الكريم..... 43
رَفِيقُهَا المُؤلِم 46
تساؤلات..... 48
الْعَاشِرَة حُزْنًا 49
رِفْقًا بِأَيْدِيهِم الطَّاهِرَة 51
جُرْعَة أمَل..... 53
عَبَقْ الذِّكْرَيَات 55
الوحدة أجمل 57
وَقْفَة تَسَاؤُلات 59
مُحَاصرة 60
بين عِبْرة وعَبْرة 65
طفح الكيل..... 67
بهلوان المسرح 69
هديةُ عابِر..... 70
موت عزيز..... 73
أمرٌ عُجاب 76
ذنوب الخلوات..... 79

أجمل اللباس 82
اسم الله الوهاب 85
الخاتمة 91

الإهداء

إلَى الشَّمْسِ أَبِي.

إلَى الْقَمَرِ أُمِّي.

إلَى السِّتَّةِ كَوَاكِب إخْوَتِي.

إلَى النَّجمَة معلمتي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ: إينَاس مَحْمُود، الَّتِي قَرَأْت مَا كَتَبْته بتعبيري، وَأَخْبَرَتْنِي: "لكِ مُسْتَقْبِل أَدَبِيّ وَاعِد، لَا تهملي تِلْك الموهبة".

الَّذِينَ يَطُوفُونَ فِي سمائي ويمنحوني النُّور، وَالدِّفْء، وَالسَّعَادَة أهديهم كتابي.

الْمُقَدِّمَة

كِتَاب سَمَاءُ المَجْد، عِبَارَة عَنْ نُصُوص وَخَوَاطِر إِيجَابِيَّة، وَقَصَص خَلَقَتْ مِنْ الْفَشِل نَجَاح، وَرَسَائِل لَن تَصِل... لِذَا حان الْوَقْت لِكَي تَنَفَّض ذِكريات الْمَاضِي، وتخرج نَفْسَك مِنْ غَيَاهِبِ الْيَأس، وَتَسْعَى وَرَاء حلْمُك، حُلمِك الَّذِي لطالما تَمَنَّيْتُ أَنَّ يَتَحَقَّقَ، ثق بِنَفْسِك حتمًا ستصل.

أَرْجُو أَنْ يَكُونَ كِتَابِي تَرَكَ فِي قَلْبِك جُرْعَة أَمَل. .

جُرْعَة جَمَال

لكِ سيدتي هَذِه الخاطِرَة لكِ حِينَمَا يَثْقُل الْعَالِمِ عَلَى كَتِفَيْك.

_لِمَاذَا أنتِ حَزِينَة ؟

= حَسَنًا ، لَا تُرِيدِينَ إِخْبَارِي لَكِن تأكدي كُلِّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْكَوْنُ لَا يَسْتَحِقُّ حُزْنُك، وَ إِنَّك جَيِّدَة لِدَرَجَة إِنَّ اللَّهَ يَبْعُد عَنْك كُلُّ مَا يُنْهك عَقْلِك وَيُهْلِك قَلْبِك، وَأَنَّه يُحِبُّك وَيُصْرَف عَنْك كُلِّ سُوءٍ وَشَرّ مِنْ بَشَرْ، وَأَشْيَاء تتمنينها، وَأَمَاكِن تتطوقين لذهابها لَكِنَّ اللَّهَ يَصْرِفُهَا عَنْك؛ لِأَنَّه حَكِيم فَكُلُّ مَا يَحْدُثُ لِكَي لِحكْمِةٍ مُعَيَّنَة لَن تَعْرِيفُهَا فِي نَفْسِ الْوَقْتِ، اللَّه يُحِبُّك.

لَا تظني بِأَنَّ هَذَا الْحُزْنُ الَّذِي يَقْبَع داخلك تَرَك ملايين مِنْ الْبَشَرِ وَجَاء لَك وَحْدَك دُون سِوَاك! كُلُّ إِنْسَانٍ يَحْزَن لَكِنْ لَيْسَ كُلُّ إِنْسَانٍ يَنْهَض، وَيَقِف، وَيَأْبَى الِاسْتِسْلاَم.

فَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ الْمُعَانَاة وَالْحُزْن حَتَّى تَظْهَرَ السَّعَادَة، كَمَا تَخَلَّى عنكِ الْبَشَر مِرَارًا وتكرارا لتدركي مَعْنَى الْعِوَض، وتستحال كُلِّ الطُّرُقِ لتعرفي طَعْمُ النَّجَاةُ مِنْ هَذَا كُلُّهُ.. فَلَوْلَا التَّعَب لَمَا كَانَ لِلرَّاحَة مَعْنَى، وَلَوْلَا الْحُزْن لَمَّا كَانَ لِلسَّعَادَة أيضًا مَعْنَى، أَرْجُو أَنْ تفهمي مَا أَرْمِي إِلَيْه.

الْآن سَأَكْتُب لَكِ بَعْض نِقاط نفذيها لتجدي الْخَلَاص مِنْ حُزْنُكِ هَذا:

• دَلِّلي نَفْسك، تزيني، الْبِسِي مَا تحبينه، ضَعِي عُطْرِكِ الْمُفَضَّل، استمعي للقرآن الكريم بِصوت قارئٍ تحبينه، اعدي لنفسك كوب شاي ثم اذهبي لتأمل هذا الكون الشاسع كَسماء صافية ومليئة بالنجوم، كقمر حوله ظلام حَالِك، كجبل راسخ تكوّن من ذرات غبار صغيرة! حتى بات قويًّا، راسخًا، ثابتًا في مكانه.. أغمضي عيناك وتفكري في بديع صنع الله، واضحكي مِن أَعْمَاق قَلْبِك فلا شيء يستحق حزنك مهما كان كبيرًا في هذا العالم، الْآن اسعي لِتَحْقِيق أحلامك، مَاذَا تنتظرين؟

• ابتسمي دَائِمًا فأنتِ جَمِيلَة الرُّوح، وَطِيبِه الْقَلْب، وَالْأَشْيَاء الْجَمِيلَة لَا يَجِبُ أَنْ تَحْزَن.

• إياكِ أَن تنطفئي فَإِنَّكِ سِرَاجٌ لِأَحَدُهُم .

• تيقني أَنَّ مَا يَحْدُثُ الْآنَ هُوَ خَيْرٌ لَك، حَتَّى لَوْ لَمْ يُرْضِيك.

• لَا تسمحي لِشَيْء بِأَن يَهُزّ كيانك، مِنْ كَلِمَةٍ أَوْ مَوْقِفٍ أَوْ شَخْصٍ لَا تجعلي شَيئًا يُعَكِّر مزاجك ويُدمع عيناكِ.

• كَوْنِي أَنَانِيَّة، لَا تفكري بِشَيْء سواكِ، لَن يَنْفَعُك التَّفْكِير الزَّائِد بِالْأَشْخَاص وَالمَوَاقِف التي بَاتَت بِالْمَاضِي، اشغلي نَفْسِك، نَمِّي مَوَاهِبِك، وَلَا تشغلي تفكيرك بِشَيْءٍ غَيْرِ ذَاتِك، فَلَن يَنْفَعُك بَل سيضرك .

• تأكدي أنكِ ستكونين ذَاتَ يَوْمٍ تِلْكَ الفَتَاة الَّتِي رسمتها فِي مخيلتك، وَتِسْعِين لِتَحْقِيق ذَلِك.. تِلكَ المُثقفة، المُتعلمة، الْكَاتِبَة، الرِّسامَة، مُسْتَقِلَّةٌ مَعْنَوِيًّا ومَادِيًّا وفِكريًّا، فَقَط ثِقي بِنَفْسِك.

• تحلِّي بِالشَّجَاعَة لتتبعي قلبكِ وحَدسك، اسْمَعِي حدسك مَاذَا يَقُولُ؟ صَدّقِيه فحسب، فَحدسكِ يَا سيدتي وَقَلْبُكِ لَا يُخطىء.

سَلَامُ اللَّهِ عَلَى المتفائلات وَدَاخِلُهنّ هَشَيْمٌ يَحْتَرِق، سَلَامُ اللَّهِ عَلَى مَنْ قَرَّرْت الْمُضِيّ قَدِمَا دُون الِالْتِفَاتِ إِلَى غياهِب الْمَاضِي، سَلَامُ اللَّهِ عَلَى مَنْ سَعَت وَدَعَت وتيقنت بِالْوُصُولِ إِلَى مُرَادَهَا..

سَلَامُ اللَّهِ عليكِ.

وَالِدَيّ

إِلَى مَنْ سَهِرا وَرَبَّا وأفنيا حَيَاتَهُمَا حَتَّى الْمَشِيب وتَقَوْسِ الظَّهْر، إِلَيْكُمَا وَالِدَيّ:

أَمَّا بَعْدُ، لَا أَدْرِي كَيْفَ سأوفي لَكُم فَضَّلَكُما عَليّ، فَمُنْذ طفولتي حَتَّى شَبَابِي وَأَنْتُمَا تَقُومُون بِتَرْبِيَتِي أَفْضَل تَرْبِيَة، ودعمي مَعْنَوِيًّا، ونفسيًا، وماديًا.. أَحْيَانًا أتساءل كَيْف لِأَبِي إنَّ يبقى صَامِدًا كَالْجِبَال رَغْم الْكَمّ الْهَائِل مِنْ الْهُمُوم وَالْأَفْكَار!

وَكَيْف لِأُمِّي أَن تَحْنُو عَليّ وَسَط قَسْوَة الْحَيَاة بِهَا! وَكَيْف أُوفِيهم حَقِّهُم؟ وَأَرُدُّ ذَلِكَ الْجَمِيل، وَالْفَضْل لَهُمَا؟

وَجدْتُ إِجَابةً عَلَى سُؤَالِي هَذَا.. وَهُوَ بِأَنْ أَحْفَظ الْقُرْآنَ الْكَرِيم، سَتَكُون أَكْبَر هَدِيَّة أَقْدَمُهَا لَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

مَا دَخَلُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِهِمَا؟ سَمِعْتُ مُرَّةَ حَدِيثَ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بِأَنَّ مَنْ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمِ سَوْف يَلْبَس أَبَوَاه تَاج الْوَقَار! فَعنْ معاذ بن أنس الجهني ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله قال: (مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ، أَلْبسَ وَالِدَاهُ تَاجًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ضوئه أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ فِي بُيُوتِ الدُّنْيَا لَوْ كَانَتْ فِيكُمْ، فَمَا ظَنُّكُمْ بِالَّذِي عَمِلَ بِهَذَا).

فَتَعَجَّبْتُ لِهَذِه الْهَدِيَّة، فَهَرِعْتُ مُسْرِعَةً لِكِتَابِ اللَّهِ أتدبر آيَاتِه وَأَرْدُدْهَا مِرَارًا وتكرارًا، وَأَحْفَظ الْآيَة تِلْو الْآيَة، وَالْوَجْه تِلْو الْوَجْه، وَالسُّورةَ تِلْوَ السُّورَةِ الْأُخْرَى، ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ، ولأنتفع بِهِ مِنْ فَضْلِهِ وَأَنْفَع بِه غَيْرِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : "خيرُكُم مَن تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَهُ"

أُحَاوِل جَاهِدًا أَنْ لَا أعصيهما وأطيعهما فِي كَثِيرٍ مِنْ الْأُمُورِ، أَحَبَّكُمَا بِحَجْم السَّمَاء ونجماتها، قَبْلَة عَلَى جَبِينَ أَبِي، وَعَنَاقٌ كَبِيرٌ لِأُمِّي ـ حَفِظَكُمَا اللَّهُ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَمَكْرُوهٌ.

"طِفْلَتُكمَا: مَجْد".

شُرُود قَمَر

ـما بَال الْقَمَر شَارِد؟

=أي قَمر؟ مَاذَا تقْصَد؟ لَا يُوجَدُ قَمَر يَشْرُد بِأَفْكَارِه.. وَفِي مُنْتَصَف النَّهَار!

ـأعني أنتِ وَلَيْس الْقَمَر ..

=ما لِي أَنَا؟

ـلا شَيْء، بِمَاذَا كنتي شَارِدَة؟

=نعم فَهِمت، تَقْصَدُ أَنَا، كُنْتُ أُفَكِّرُ بِأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ.

ـمثل مَاذَا هَذِهِ الْأَشْيَاءِ؟

=سأخبرك لَكِن عَدْنِي أَنْ لَا تَضْحَك

ـأعدك لَن أَضْحَك، تَفَضّلِي..

=أفكر بِمَاذَا سَيَحْدُثُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ..

هَل سأكمل تَعْلِيمِي؟ أم أَنَّ الفَارِسَ سَيَأْتِي عَلَى ظَهْرِ حِصَانَهِ مُسْرِعًا؟ أَم سَأَخْرُج مِنْ هَذَا الْبَلَدِ؟ وَأَشْيَاء أُخْرَى..

_ستكملين تَعْلِيمَك ويرزقكِ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ بعَلِم وَفِير، وينفعكِ بِه وَيَنْفَعَ بِهِ غَيْرُك..

وَيَأْتِي فَارِس أحلامك رُبّما سَيَتَأَخَّر وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ إليكِ يمكن بسبب أنه اصطدم فِي عَقَبة.. مَهْمَا تَأَخَّر سَيَأْتِي.

لَكِن لِمَاذَا تَخْرُجِين مِنْ هَذَا الْبَلَدِ؟

أينسى الْوَرْد أَرْضِه؟ أينسى غارسه، وَسَاقَيْه؟ أيتخلى عَنْ الْأَرْضِ الَّذِي زُرِعَ فِيهَا؟

=لا، لَن يَنْسَى ذَلِك.. لَكِن يُوجَد أَرْض أَفْضَلُ لَهُ، وغارس لَن يَنْسَاه، وَسَاقِي لَن يَقْسُو عَلَيْهِ.

_أعندكِ شَكٌ بِأَنَّ هَذِهِ الْأَرْضَ سَتَكُون جَمِيلَة كَمَا رَسَمْتِها فِي مُخَيلتِك؟

=لا، ستأخذ الوَرْدَة بِالْأَسْبَاب وَتَدْعُو بِيَقِين.. حَتْمًا ستصل إِلَى مَا ترنو إِلَيْه.

_هذا هُوَ الصَّوَابُ.

الْمُضِي قُدمًا

وَدَدتُ لو انتهت حياتي قبل أن تُكشف حقائق الأمور، وأوجه البعض، وتسقط الأقنعة، وتذهب المودة... فَاكتشفت مؤخرًا أنَّ مَن أُكِنُّ لهُ الوَمَق، يُكِنُّ لي المقَتَ..!

أتساءل أيعقل أن أخدع من قِبَل أقرب الناس لقلبي؟ أيعقل ذلك؟! أيعني أنّ جُلّ كلامهم كان مجرد كذب؟!

أشعر *وكأنني* في غياهِب الوَهم والآن استيقظت من غفلة ظلمتي..!

لا يمكنني نسيان هذا، ولا المسير قُدمًا... أين الخلاص من هذا كله؟ فَكيف لوردةٍ أن تنسى من سقاها حتى و إن سقاها بالوَهم وعَلّق قلبها به... كيف لها أن تنساه؟

ستحاول تلك الوردة نسيان ساقيها حتى غارسها لكن كيف لِوردة تحتاج لماء أن تكتفي بنفسها؟ فَهي ليست بصَبّارة كي تكتفي بذاتها! مهما يكن قد فرحت، فَقد علمت بأنّ رَبّها يُحِبُّها ويصرف كُلَّ ذي شرٍ وسوءٍ عَنها لذلك يُحِبُّها!

تركتْ كُلَّ شيءٍ لِله ومَضت قُدمًا مُتنَاسيةً ما حَلَّ بِها مِن دَمار.

ذوبان شمعة

افْتَقَرت لِقُوَّة الِاحْتِمَال وَسَط غَيَاهِب الْحَيَاة ومصائِب الدّهر وكَأن جِسْمِي رَقِيق البِنْيَة يَذُوب كشمعة أعتمدَ الْجَمِيعِ عَلَى وُجُودِهَا مُنيرةً، مُشتعلة، وَلَم يأبه أحدٌ لإنطفائها...!

فَشيء قَبِيحٌ أَنْ يَكُونَ المرء طموحًا، متفائلاً، ذُو عَزِيمَة، وَقَلْب يَتَأَثَّر مِنْ أَصْغَرِ شَيْءٌ يَتَأَثَّر مِنْ كَلِمَةٍ نُطْقُهَا طِفْل عَبَثًا ، يَتَأَثَّر مِن عَابِرَ سَبِيلٍ تَمْتَم بِكَلِمَات سَاحِقة، يَتَأَثَّر لِغَرَق نَمْلَة صَغِيرَة، يَتَأَثَّر مِنْ حَدَثٍ مُحزن لَا يَعْنِي لَه!

والأقبح مِنْ ذَلِكَ أَنَّ تَكُونَ ذُو قلب يُشعِر بِكُلِّ شَيْءٍ، ذُو مَشَاعِر مُرهفة، فِي وَقْتِ بَاتَت الْقُلُوب تَضُخّ فَقَط الدَّم لَا أَكْثَرَ وَلَا أَقَلَّ!

مَنْ ذَا الَّذِي سَيُفْهَم هَذَا الْقَلْبِ؟ أَيُوجَد أَحَدٌ سيشعر بِه؟

قَلْب نَادِرٌ، وفَرِيد كَالزُّجَاج يَتَأَثَّر مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَتَرَاوَح جُرُوحِه مِن خَدَش صَغِيرٌ إِلَى كَسْرٍ كَبِيرٌ حتى شَرخ عميق في منتصف القلب لَا يُمْكِنُ ترميمه أَو جَبْرُه.

أَيْنَ الْمَفَرّ مِنْ هَذَا كُله؟ أُرِيدُ الْخَلَاص، فَلقد ذَهَبَت جَمِيع قُوَاي شيء مَضْحَكٌ ومؤلم فِي آنَّ وَاحِد، أنّ تِلْك الشَّمْعَة الَّتِي كَانَتْ تُنِير طَرِيق عَمّن حَوْلَهَا، ذَابَت وضلّت هِيَ الطَّرِيقُ!

تَمنيتُ لو

تمنيت لو أجد نصفي الآخر أتناجى معه همومي وأشاركه افراحي و إنجازاتي الصغيرة، نفرح سويا ونضحك معا... ومهما حزنا نتقاسم ذلك الحزن ونجعله أخف ثقلا على قلوبنا... ولن يهون عليه سقوط دمعة من عيني، أو حتى حزني سيسعى دائما لإرضائي، ويحتويني إن غضبت، سيحبني قولا وفعلا و إن المواقف لَتثبت ذلك!

تمنيت لو أن أقنعة البشر لم تزل ثابتة على وجههم... ولم تكشف نيّاتهم، أو حتى حقائق الأمور وبقيتُ مغشية البصيرة لا أتجرع كل هذا الحزن دفعة واحدة.. وأقطف ثمار كشف وجوههم هذا كله...!

تمنيت مَن يربت على كتفي وسط غياهب الحياة، من يسندني حينما أميل، وتضيق بي الحياة بما رَحُبَت، مَن يدعمني معنويا وسط كلامهم الساحق وباتت معنوياتي في الحضيض...
تمنيت وما زلتُ أتمنى تلك الأمور علَّ في أحد الأيام يحصل القلب على ما تمنّاه.

ابتسم

نِقْمَةٌ كُبرى أَنْ يُبْتَلَى الإنسان بإكداءٍ معنويّ كالابتسامة، فَيبخل بها عَمَّنْ حوله.

أمقتُ أولئك الذين يبخلون بالابتسامة، صحيح أنها لا تشتري لك خبز لكنها تشتري لك أرواحًا، فسبحان من جعل الابتسامة في ديننا عبادة نؤجر عليها!

تعجبني الشمس في سمائها تشع سرورًا وبهاءً ونورًا، وتعجبني المرأة أو الرجل يخلق حوله جوًّا مشبعًا بالغبطة والسعادة، فيبتسم إن لَقِيَ أخاه المسلم؛ لِيجنيَ صدقاتٍ بلا عناءٍ أو كَلالٍ آخر يومه، فقد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ "تبسُّمُكَ في وجهِ أخيك لكَ صدقة".

و إن لم تكن معتادًا على التبسم فابدأ الآن بالتدريب عليها رُويْدًا رُويْدًا، وجعلها جزءًا لا يتجزأ من شخصيتك... فَدرِّب فمك على الابتسامة إلى أن يأتيَ الوقت الذي يبتسم فيه دون أن تامره بذلك!

فَأول درس يجب أن يُتَعلمَ في فن الابتسامة القدرة على التبسم في جميع الأوقات؛ فما إن تضيق عليه الحياة حتى تراه مُجَعَّد الوجه، قاطِب الحاجبين، عَابِس الوجه، ضَائِق الصدر، ناكس البصر تتلاطم الأفكار في رأسه وكأنَّ كُلّ مصاعب الدهر وغَياهِب الحياة اجتمعت ـ فحسب ـ فوق رأسه!

ولرُبّما تبسُّمُكَ في وجه شخصٍ ما أفضل ما تقدمه له طوال يومه، كما قال جاكسون براون: " أعطِ الناسَ ابتسامةً فقد يكون هذا أفضل ما يجدهُ طول يومه".

فالابتسامة هي المدرسة التي تخرج أجيالا من المتفائلين، ومن أجمل ما قيل في الابتسامة أبياتُ إيليا أبو الماضي:

"قال الليالي جرعتني علقما .. قلتُ ابتسم ولئن جرعت العلقما

فَلعلّ غيركَ إن رآكَ مُرنّما .. طرح الكَآبةَ جانبًا وترنّما".

فَمن آثار الابتسامة في حياة الأفراد انها تُعزّزُ الدور القيادي لدى الفرد، فترى اي شخص محلّاً للثقة مُبتسمًا دونما غيره، فتلاحظ وكأنهم مَغانِطَ ويجذبون عَمَّنْ حولهم بابتسامتهم السّاحرة لِتأسر قلب كُلّ من ينظر إليهم!

وثاني أثر من آثار الابتسامة هو تحسين العلاقات الاجتماعية، فقد أشارت جامعة كاليفورنيا في بركلي إلى أنّ الأشخاص الذين يبتسمون غالبا ما تكون الفرصة لديهم أكبر لتحقيق زواج ناجح، وعلاقات اجتماعية سعيدة مقارنةً مع غيرهم؛ ويعود ذلك لعدةِ أسباب أهمها: أنّ الشخص المبتسم أكثر جاذبية؛ فوفقًا لدراسة أجريت عام ٢٠٠٣ م فإنّ الدماغ البشري يشعر بالانجذاب للشخص المبتسم دون ما سواه.

فَابتسم، ولا تشغل نفسك وتثقل كاهلك بهموم الحياة، فكلٌّ مقسوم لك ستأخذ ولو بعد حين، ابتسم فَلن يتغير العالم بحزنك، ورغم أنف الحاقدين أرخِ حاجبيك، وأطلق تقويسه شَفتيكَ، واقلب هذا العبوس رأسًا على عَقب، وابتسم.

رَسائل لن تَصِل

بسمِ اللهِ الرَّحْمـٰنِ الرَّحِيم.

عنوانُ المُرْسَلِ إليهِ: عتاب صديق.

الشَّخْصُ المُرْسَلُ إليه: صديقتي "دِيفْشَا".

الشَّخْصُ المُرْسِل: مَجْد بَاسِم.

السلامُ عليكِ ورحمةُ الله تعالىٰ

صَدِيقتي، اعْلَم بِأَنَّك لَنْ تَقْرَأي هَذَا لَكِنْ يُوجَد أَشْيَاء أَوَدّ أَن تَعَلميها عمّا قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ...

أَلَمْ تَعِديننِي أَنَّكِ ستبقين على العهد؟ أَلا تَتَذَكَّري تِلْكَ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي الَّتِي أمضيناها سَوِيًّا؟ أَهَان عَلَيْكِ كُلُّ ذَلِكَ؟ هَل وَجَدَّتِ غَيْرِي؟ أَهِيَ تُحِبُّك بِقَدْر حبِّي إِلَيْك؟ أتعلم مَا يُخِيفُك وَمَا يَسُرّك؟ أَسعيدةٌ مَعَها؟

أما عَنَي فَإِنَّ كُلَّ ذِكْرَى حَدَثَت بَيْنَنَا تَقْبَع فِي رَأْسِي، وَلَم يَهُن عليّ أَيُّ شَيْءٌ مِنْ تِلْكَ الذِّكْرَيَات إِلَى الْمَوَاقِفِ حَتَّى العشرة.

وَلَمْ أَجِدْ لِمثلكِ مثيل متقينًا بِأَنَّنِي مَهْمَا تَعَرَّفْت، وَبَحَثْت، وَوَجَدْت.. لَن أَجِد مِثْلَك؛ فَإِنَّكِ لَا تُشْبِهين أحدًا أبدًا.

لَكِن تَعَلَّمْت أَشْيَاء، تَعَلَّمْت أَنَّ كُلَّ الْأَصْدِقَاء سيذهبون، وَكُلّ الوُعودِ سَتُخلَف، وَكُلُّ شَيْءٍ قَيّم وَثَمِينٌ سَيَهُون.

وَنَحْن نَتَعَلَّم فِي كُلِّ مَرَّةٍ.

التوقيع: مَجْد بَاسِم.

٢٠٢١/١٠/١٥

صديقي المُفضّل، إليكَ لوز

أما بعد:

لم أكن أتوقع حدوث ذلك، لقد مرَّت عدة أشهر على فراقنا، أكتب لك بدم قلبي، ونار اشتياقي، وصخب عقلي، لا أعلم شيء عنك، لرُبما رَزقك الله بصديق غيري، تهتم لأمره، تحدثه طيلة الوقت - عَمَّا جَرَى لك - ، تجعله يختار معك ملابسك، تتشاركان الكتب والروايات، وتتبادلان النكات وتضحكان سويًا، آلاف من الصور والمواقف باتت تجمعكما... والأهم من هذا كله، تحبه ويحبك من قلبك.

أما عنى، فقد ذابني الخُذلان المُتكرر، فقد حصرتُ حُبُّكَ داخلي.. لازلتُ مُحَطَّمًا، لا أملك قوةً لِفعل شيء.. شعور الوحدة يميتُ قلبي.

يدور في عقلي كثير من السيناريوهات حول اقتحام أحدهم لحياتك، حينها أشتاظ غضبًا، نيران الغيرة تحرقني، أظن أنني لا زلتُ أغار عليك، لن أنكِر ذلك.. وأمّا عن قلبي فيعتصر ألمًا على الحال التي آلت إليها نفسي، بِتُّ أُشفق عليها! ما زلتُ أحتفظ بصورنا وحديثنا ـ الذي لا يُمَل منه ـ ، الذِكريات تُنهك فؤادي والحنين يقتلني، وأنا وأنا عاجزة عن فعل أي شيء ينتشلني من قاع الحزن، سوى الإيمان بالقدر خيرهِ وشرهِ، أيمكن افتراقنا كان بسبب دعوات أمك بصرف السوءِ عنك، أيعني ذلك أنني

شرٌ لك أو العكس؟! لا أدري لكن بالرغم من هذا كله لا يمكنني إتلاف الصور أو نسيان شيء من هذه الذِكريات التي تُعَشِشُ في تلافيفِ دماغي، سُحقًا لا يمكنني تجاوز هذا، لذلك لا أقدر على العودة أو حتى التَّمَلُصُ مِن قَبْضَةِ صداقتنا.

صديقُك سُكَّر.

شعور مُنهك

أصعب شعور يمر على الإنسان هو عندما يحتاج لشخص، يحتاج لكلمة صغيرة، يحتاج لعناق.. يحتاج لمن يقدر تعبه، ويذكر صفاته الجميلة، ويصغي له، يحتاج للاهتمام من أقرب الناس له.

لَكِنْ لَا يَجِدُ !

شَيْءٍ قَبِيحٍ أَنْ تَكُونَ طموحًا ، متفائلاً ، ذُو عَزِيمَةٌ ، وَقَلْب يَتَأَثَّر مِنْ أَصْغَرِ شَيْءٌ يَتَأَثَّر مِنْ كَلِمَةٍ نُطْقُهَا عَبَثًا طِفْل ، يَتَأَثَّر مِن عَابِرَ سَبِيلٍ تَمْتَم بِكَلِمَات ساحقة ، يَتَأَثَّر لِغَرَق نَمْلَة صَغِيرَة ، يَتَأَثَّر مِنْ حَدَثٍ مُحزن لَا يَعْنِي لَك !

والأقبح مِنْ ذَلِكَ أَنَّ تَكُونَ ذُو قَلْب يُشْعِر بِكُلِّ شَيْءٍ ، ذُو مَشَاعِر مُرهفة ، فِي وَقْتِ بَاتَت الْقُلُوب تَضُخّ فَقَط الدَّمِ لَا أَكْثَرَ وَلَا أَقَلَّ !

مَنْ ذَا الَّذِي سَيُفْهَم هَذَا الْقَلْبِ ؟ أَيُوجَد أَحَدٌ سيشعر بِه ؟ قَلْب نَادِرٌ ، فَرِيد ، كَالزُّجَاج يَتَأَثَّر مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَتَرَاوَح جُرُوحِه مِن خَدَش صَغِيرٌ إِلَى كَسْرٍ كَبِيرٌ حتى شَرخ في منتصف القلب لَا يُمْكِنُ ترميمه أَو جَبْرُه .

أيشقى الْإِنْسَان بـ لين قَلْبِه ؟ سُؤَال قَرَأْته وَبَكَيْت كثيرًا ثُمَّ ضَحِكَتْ بهستيرية وأردفت قَائِلُه : فَقَط يَشْقَى ؟ يتعذب هَذِهِ الْكَلِمَةِ أَقْوَى مِنْ يَشْقَى بَعْدَهَا دَخَلَتْ فِي نَقّاش عَقِيمٌ

مَع نَفْسِي ، أَدْرَكْتُ أَنَّ الْوَقْتَ تَأَخَّر فَرِحْت بِأَنَّ هَذَا الْيَوْمِ قَدْ انْتَهَى وَذَهَبَت لِلنَّوْم . . .

بَدَأَت الذِّكْرَيَات تَعْصِف دَاخِل رَأْسِي ، صُدَاع وخَواء سَيِّدا الْمَوْقِف ، فأنشغل طُول يُومِي مِنْ أَجْلِ الْهُرُوبُ مِنْ هَذِهِ الذِّكْرَيَات وَحِين رَاحَتَي تَأْتِيَنِي ، سُحقًا .

أَيْنَ الْمَفَرّ مِنْ هَذَا كُلُّهُ ؟ أُرِيد الْخَلَاص .

أَغْلَق عَيْنَاي ، أَضَع الْوِسَادَةُ عَلَى رَأْسِي بِقُوَّة ظنًا مِنِّي بِذَلِكَ الْفِعْلِ إِنِّي لَن أَتَذْكُر شَيْءٌ!

مَا هَذَا أذّن أَذَانِ الْفَجْرِ وَأَنَا مُسْتَيْقِظ ! حسنًا سأنتظر أَنْ يُقِيمَ الصَّلَاةَ ، لِكَي أُصَلِّي . .

توضئت فَرشتُ مصليتي بَدَأَت بِتِلَاوَة الْفَاتِحَة وَعِنْدَمَا وَصَلَت لِآيَة اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمِ بَكَيْت بُكَاء شَدِيدٌ ، تَذَكَّرْت ذُنُوبِي ، تَذَكَّرْت مَعَاصِي ، تَذَكَّرْت خُلْوَتِي الَّتِي كُنْتَ أَعْصِيه فِيهَا . . بَكَيْت ثُمّ أَكْمَلْت صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ضَالِّين .

وَصَلَت لِلسُّجُود بَكَيْت بِحَرْقِه ، لَمْ أَقْدِرْ عَلَى أَنَّ أَشْرَحَ مَا بِقَلْبِي مِن دَمار ، وَخَرَاب . .

اكْتَفَيْت بِقَوْل يَا اللَّهُ ، يَا اللَّهُ كَمْ لَكَ سِوَاي وَمَالِي سِوَاك ، فَأَعِنِّي يَا اللَّهُ .

انْتَهَيْت مِنْ صَلَاتِي وَذَهَبَت لِأَنَام .

ضميني

قَبْل نَوْمِي يَا أُمِّي ضُمِيني؛ فَأَنَا أَتَأَلَّم وَلَا يَظْهَرُ ذَلِكَ فِي عَيْنِي وَلَا أَسْتَفْرَغ شَيْئًا مِنْهُ عَلَى طَاولةِ حَدِيثَنَا أُكْتُفِي بِبَلْعِه بجعبتي أَخْشَى أَنْ أضمكِ وَيَكْشِف أمري.. أَخشَى أَنْ أضمكِ وتلمسي الكمّ الْهَائِل مِنْ كُلِّ هَذَا الْحُزْن وتَرينّه بأم عَيْنَيكِ أَخْشَى أَنْ أضمكِ فتفجعي بِمِقْدَار التَّعَب أَخْشَى بِأَنْ أَكُونَ ثَقِيلًا بَيْنَ يَدَيْكَ كمُرَيّانٍ صغير.

نقاء سماء

أَرْفَعُ رَأْسِي قَبْل مَنَامِي أَحْدَق فِي السَّمَاءِ بَيْن غَيَاهِب السَّمَاء أَرَى الغُيُوم الحَالِكة وَحَالِي حَزِين، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ لَيْس بِوسْعي الْبُكَاء وَلَا يتسنى أَن انْفَجَر بِالعَويل مَتَى شِئْت.. كَتِلكَ الغَيْمةِ وَسَط الدَّيْجُورُ ثَقِيلَة وحزينة وَلَا تَسْتَطِيعُ أَن تغيث بِالْمَطَر وَلَو بِقَلِيل فَقَط مُتْعَبة وَهَادئة في آنٍ واحد.

مَا قَبْلَ النَّوْمِ

مَا قَبْلَ النَّوْمِ لَا أَشْعُرُ بِتاتًا بالْأَمَان وَلَا الهُدوء، وَلَا حَتَّى الطُّمَأْنِينَة! أُرِيدُ أَنْ أَنَامَ وَلَوْ فِي ثَلاَّجَةٌ مَوتى بَارِدَة... أُرِيدُ أَنْ أغفو بِلَا ذَاكِرَة تَحوي مِئات مِن الذِّكْرَيَات بِلَا حُزْن، بِلَا أَلَمٍ، بِلَا جَفَاف أُرِيدُ أَنْ يَطِيرَ كُلّ ما في فُؤَادِي؛ كي أغدو خفيفة بلا حزن، كَي اِرْتَاح وَلَو لِبَعْض الوقت كي يَنْبِض قَلْبِي دُون وَجَع رَأْسِي ممتلئ بحكايا الْمَسَاكِين وَالْيَتَامَى.. بقطاع الطُّرُق، بالسارقين، والمشرَّدين.. مُمْتَلِئ بِكُلّ خَطَأٌ تشجبه الْإِنْسَانِيَّة... يَقْبَع فِي رَأْسِي حَال بِلَادِنَا الْعَرَبِيَّة وَكَيْف لشعبنا الْعَرَبِيّ احْتِمَال كُل هَذَا؟! وَأَنَّهُ لَمْ وَلَن يَنْبُت بِبِنْتِ شَفَةٍ! مَهْمَا فَعَلُوا سَيبْقَى هَادِئ لَكِنَّه مُثْقَل، كَغَيْمة لَيْس بوسعها الْبُكَاء لَكِنَّهَا مُثْقَلَة وَهَادِئة فِي آنٍ وَاحِد.. كَمدٌ اسْتَوْطَن قَلْبِي وَيَأْبَى الْخُرُوجِ مِنْهُ، أَعْلَن أَن يَسْتَوْطِن دَاخِلِيّ! أَيْنَ الْمَفَر مِنْ كُلِّ مَا يَخْتَلِج صَدْرِي وَعَقْلِي؟ أُرِيدُ الْخَلَاص مِنْ هَذَا كُله..

أتساءل مَا قَبْلَ النَّوْمِ

أتساءل ما قبل النوم.. كيف يعيش الظالم حياته براحة تامة.. وكأنه لم يظلم أحدا، أين ضميره، ألا يوجد ذرة ندم على ما فعله بمَظلومه؟

وكيف لحاكم أن يعيش هو وأولاده بسعد وترف.. بينما شعبه المسكين مغلوبٌ على أمره، مَن ابتلعته السجون ظُلمًا، مَن هو غائبٌ فلا هو بميت فنترحم على روحه ونذهب لقبره وندعو له ولا هو عائش فَنعرف أين هو.. فَيلازمنا الخوف من المجهول وتوتر دائم.. فقط غائب وكأن الأرض ابتلعته داخلها!

وكيف لقاتل أن يقتل أقرب الناس له، كزوجة.. فقط كيف يطاوعه قلبه أن يقتل من سهرت عليه في مرضه، من تعبت وربت أطفاله، من احتوته في حضنها، من تبادلت معه أحلامها وأسرارها، من أنجبت منه أطفالا! وتجمعهما آلاف من الذكريات، أيعقل أن يذهب كل هذا في لحظة غضب؟!

وكيف لأب أن يترك طفلته في غياهب الحياة دون رعاية أو اهتمام أو دعم مادي أو حتى معنوي فتتساءل بذاتها ما هو ذنبي؟ أحقا أنا سيئة؟ أأستحق كل هذا؟ وبعدها تجد الاهتمام من غير أهلها فتستغرب أحرمت من هذا منذ صغرها؟ وبعد هذا كله يزول الاهتمام وينتهي بها المطاف إلى شرخ في قلبها! وحزن يقبع داخلها.

وكيف لنا أن نصدق من يكذب؟ ونكذب من يصدق؟! ويلتبس علينا الصادق من الكاذب؛ لكثرت الكذب!

وكيف أن يكون الطفل وقت الطلاق أحيانا.. مجرد "سلاح" بين الأم والأب والشاطر مَن يعذب قلب الآخر فيهم وكأنهم ينتقمون من بعضهم فيهم!

وكيف أصبحت الطفلة تتحكم بوالدتها وكأنها هي والدتها ترفع صوتها، تفعل كل ما تنهاها إياه، حتى تصل إلى أن تتطاول بيدها نحو امها! وكأنها هي من ولدتها؟

وكيف تؤكل الحقوق ممن لهم سيط، ولا ينتج أي حكم عليهم؟!

وكيف تتوارى تحت الثرى المواهب، ولا تلقِ لها الدولة بالًا وكأنّ تلك الإبداعات والمواهب العظيمة لا تعني شيئًا؟!

ولماذا نثق بأشخاص ليسوا محلا للثقة؟

وكيف يهون كل الذي لا يهون؟!

ما بال تلك القلوب ألا تشعر؟

إنها كالحجارة، بل أشد قسوة!

هل سننجو من تلك الفتن؟

أين الخلاص من هذا كله؟

ويبقى الحلم الوحيد النجاة من هذه الأشياء

أن نستمر، ونبقى على قيد الحياة..

وكأن حق الحياة حُلم وليس حق!

وتساؤلات كثيرة لن أجد لها حلاً. فأغط في النوم بعد كَمٍ هائل من هذه الأسئلة ..

كُتِبَت بِكُل حِيرَة.

كَمْشَة أَمَل

كَمْشَةُ أَمَل: هِي مَجْمُوعِة تَحتَوي على عِبَارَاتِ تحفيزية ضَمِن كِتَابي: "سَمَاءُ المَجْد"

ـحان الْوَقْت لِكَي تَنَفَّض ذِكريات الْمَاضِي، وتخرج نَفْسَك مِنْ غَيَاهِبِ الْيَأس، وَتَسْعَى وَرَاء حلْمُك، حُلمِك الَّذِي لطالما تَمَنَّيْتُ أَنَّ يَتَحَقَّقَ، ثق بِنَفْسِك حتمًا ستصل.

ـتسّلح بأحلامك

لَا تَدَعْ شَيْئًا يُغَيِّر مَسَارَهَا.. هيّا فَلتُحَلِّق خَلْفَهَا، اسعَ لَهَا لَا تَنْتَظِرُ أَحَدٌ، أَصْنَع نَفْسِك، كُنّ جَمِيل الْأَثَر، كَثِيرِ الْعَمَلِ، طَيَّب الْفُؤَاد، زُكِّي النَّفْس، هَيَّا اتَّبَع حِلْمُك فأمامك مُسْتَقْبِل وَاعِد ينتظرك انْطَلَق الْآن، مَاذَا تَنْتَظِر؟

ـكن مِمَّن يُعْطِي النُّور لِمَن حَوْلِهِم وَ إِنْ كَانَتْ خفاياك مُتْعَبة، وَقَلْبُك مُنهِك.. فَثَوَاب الْعَطَاء يخبئ لَك فَرَجًا مِنْ حَيْثُ لا تحتسب.

ـسَتأتيك أحلامك الْمُؤَجَّلَةُ فِي وَقْتِ مُنَاسِبٌ لترسم عَلَى شفتيك فَرَحًا جَمِيلًا لَن يُمْحَى.

ـيا رَفِيقُ، ارسم أَمْلك مِنْ عُمْق أَلَمِك.

ـانهض،

لَا تستسلم كُفَّ عَن التَّسْوِيف وَأَنْهَض

كَفَاك كَسَلًا وَحُزْنًا، ستشرق الشَّمْس، وينجلي الْحُزْن، وتقطف ثِمَار جَهْدَك، وَتَصِل إِلَى مُرادك.. ثق بِنَفْسِك حَتْمًا ستصل.

ـسيرسل اللَّه صَدِيق بمقاس قَلْبِك، سَيَكُون أَحَبُّ إِلَيْك مِنْ كُلِّ الْبَقِيَّة، سيشاركك ذِكْرَيَات عِدَّة وَيُفْهِمُ مَا فِي شعورك، ويرافقك فِي دُنْيَا كُلّ ما فيها مُتْعِب وَكُلُّ مَنْ عَلَيْهَا مُتْعَب! سَيَكُونُ لكَ فُؤَادٌ طَيَّب، وَنَفْس زَكِيَّة.

ـإن كُنْت مُنْهِك، اغْسِل قَلْبِك بِتَوْبَة نصوحة، ابدأ مَنْ جَدِيدٍ، فَهَل تَظُنّ أَنَّنَا جَمِيعًا مَعْصُومُون؟ لَا وَاَللَّهِ، إِنَّمَا هُوَ سِتْرُ اللَّهُ، فَكُلُّنَا نخطئ ونقع، كُلُّنَا مِثْلَك، ونحتاج فَقَط لِتَقْوِيَة الْحَبْلِ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللَّهِ.. وبداية الطَّرِيق لِتَقْوِيَتِه التَّوْبَة! فَهَيَّأ بِنَا نتوضأ بِرَكْعَتَيْنِ فِي الغَسَقِ؛ لنملأ النُّورِ إِلَّا غَيَاهِب قُلُوبِنَا.. ولَا تَنْسَى بِأَن تَذْكُرَنِي فِي

دُعَائِكَ وتشاركني خلوتك مَعَ اللَّهِ بِدُعَاء صَادِقٌ فَلَا نَدْرِي مَنْ مِنَّا أَقْرَبُ إِلَى اللَّهِ، فَهَيَّا بِنَا.

ـاعتني بِنَفْسِك، وَابْتَعَدَ عَنْ كُلِّ مَا يرهقك وَيُؤْذِي قَلْبِك.

ـانهض، وَجَدَّد عَزِيمَةٌ سَعْيَك، اكْسِر ظُنُونَ أَعْدَائِك الحاقِدين بنجاحك مِنْ خِلَالِ ضَوْء أَمْلِك السَّاطِع، أَنْت تَقْدِر فَقَط ثِقْ بِذاتك.

ـسَتكون حَتْماً مَا تُرِيد وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ.

ـاطمئن، فَاَللَّه يَعْرِفُك، يُعْرَفُ مِنْ تَكُون، وَيُعْرَف نياتك الصَّادِقَة، وَيُعْرَف طَيِّبَة قَلْبِك، يَعْرِفُ كُلَّ جوانبك، أَيْنَمَا تَكُون هُو مَعَكَ.. وَهَذَا يَكْفِي يَا صَدِيقِي.

ـالله ـ عزَّ وَجّل ـ كَلَّفَك بِمُهِمَّة تَسْتَطِيعُ حَمْلَهَا و إنجازها، فَتَعْلَم الْحَمْدَ عَلَى كُلِّ نِعْمَةٍ.

ـلا بَأْس سَيَمْضِي كُلُّ هَذَا الْأَلَم، وَيَزُول هَذَا التَّعَبُ، لَا بَأْسَ يَا صَدِيقِي، فَلْتَأْخُذ نَفْسًا عَمِيقا، ولتُدْرِك أَنَّ الْإِنْسَانَ يَتْعَب واقفًا عليه الْجُلُوس قَلِيلًا ، فَالْإِنْسَانَ خُلِقَ عُجُولًا عَلَيْهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ كَيْف يَصْبِر ويتصبَّر، اخْلَع مَحَبَّة هَذِهِ الدُّنْيَا مِنْ قَلْبِك، وَلَا تَسْتَوْطِنْ بِهَا وَكُن مُجَرَّد عَابِرَ سَبِيل فِيها.

ـافتح سَتَائِر غرفتك دَع أَشِعَّةِ الشَّمْسِ تَدْخُلُ مِنْ نافذتك إِلَى قَلْبِك وتداعبه، سَتَكُون بِخَيْر يَا رَفِيقُ.

ـتفاءل يَا صَدِيقِي وهون عَلَيْك فَرُبّ الْخَيْرِ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالْخَيْرِ، أَبْشِر.

ـكن أَنْت شَمْس قَلْبِك، وبَلسَمُ جُرُوحِك، مَهْمَا حَدَثَ مِنْ سُوءِ فِي أَيِّ مَكَان وَزَمَانٍ عَلَيْكَ أَنْ تُقَاتِلْه بِكُلِّ مَا أُوتِيت مِنْ قُوَّةِ؛ لتشرق مِنْ جَدِيدٍ.

ـعِجاف هَذِهِ الْأَيَّامِ مَهْمَا طَالَت سيعقبها فَرْج كَبِيرٌ فَقَط اتَّبَع النُّورُ الْمُبِينُ ، رَكِّز عَلَيْه وامضي قَدِمَا.

ـكن لَطِيفًا، فَالْعَالِم ثَقِيلٌ وسيء بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةُ، حَاوَلَ أَنْ تَكْسِب قُلُوب الْخَلْقِ لَا إِنْ تَثْقُل عَلَى قَلْبِ مَخْلُوقٌ..

ـتأكد بِأَنَّ اللَّهَ حَرَمَك مَا تُرِيد لِيُعْطِيَك مَا تَحْتَاجُ، فاطمئن.

ـوجودك مُهِمٌّ حَتَّى لَوْ فِي حَيَاةِ شَخْصٍ وَاحِدٍ، ضحكتك سَبَبٌ بفرحة إِنْسَان، تَأَكَّد بِأَنَّكَ أَنْتَ أُمْنِيَة لِشَخْص يَأْبَى الْإِفْصَاح لك.

ـتذكر يَا صَدِيقِي، إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْسَى فِرَاشِة أَيْنَمَا حَطَّت، لَا يَنْسَى مِلْح الدُّعَاء بأمنية حَفِظْتهَا مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ، بأمنية سَكَنَت قَلْبِه وأسكنته، صَعِدْت تِلْك الأمنية عَلى جَنَاحِ الفراشة.. فَيبدل التَّعَب رَاحَةٌ، وَالْحُزْن فَرِح وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ.

ـلا تَظُنّ إِنَّك بِلا قِيمَةٍ أَوْ حَتَّى نَكِرَةٌ!

أَنْت قُدْوَة لِطِفْل صَغِيرٌ رآك فَهَتَف مِن أَعْمَاق قَلْبِهِ قائلاً: سأصبح مِثْلَه حِينَمَا أَكْبَر.

أَنْت أُمْنِيَة لِشَخْصٍ آخَرَ.. أَنْت دَعْوَة مُكَرَّرَة فِي غَسَقِ الدُّجَى، مُخَبَّأَة بِقَلْب أَحَدُهُم ويأبي الْإِفْصَاح لَك.

أَنْت الشَّخْص الْمُفَضَّل لَدَى صَدِيق.. وَالْمَلَاذ لِلْآخَر.

أَنْت فَخْر لِأَبِيك، وعكاز أُمُّك، أَمَانٌ لأخوتك، فَلَسْت نَكِرَةٌ!

أَنْت لِلحَيَاةِ حَيَاة.

ـأَعْتَنِي بِقَلْبِك جَيِّدًا يَا رَفِيقُ.

أَرْجُو أَنْ أَكُونَ تَرَكَت فِي قلبك كَمْشَةَ أَمَل.

خذلان متكرر

كمدٌ في قلبي لا يمكنني الفرار منه! بسبب أنني وثقت بأناس غير أهل للثقة... أعطيتهم كل ما أتمنى أن أُعطاه، قدمت لهم كل ما أملك، كنت لهم الأم الحنونة، والأخت السند، والصاحبة الخفيفة على قلوبهم... وقت حزنهم أواسيهم وأحاول أن أنسيهم هموهم، و إن لم أستطع لبكيت معهم!

يذهبون بالتدريج، وكأنهم أوراق شجر في فصل الخريف فقط يتساقطون... أكتفي بالنظر على ذهابهم واحد تلو واحد وبذهاب كل شخص يذهب جزء مني معهم!

إنني قابعة في غرفتي بذلك الركن المظلم والهادئ، أحاول تناسي كل شيء، تفيض عيناي من الدمع مما فعلوا، ابكي كرضيعة فقدت أمها، ووسط بكائي أتساءل لماذا ذهبوا؟ أهو عيب مني أم منهم؟ لكن أكرمت كل واحدا منهم، سمعت نجواهم، وضحكت رغم غياهب ما بداخلي، اهتممت بهم ثم ماذا ذهبوا...!

أدركت أن الخطأ الوحيد الذي فعلته في السنوات الماضية هو ثقتي في أي عابر... فعابر السبيل لا يستوطن، يرحل فحسب.

أكتفي بمصاحبة نفسي وتأقلم مع وحدتي ولا أتعلق بأي شخص، ورغم كل شيء لن انطفأ فلربما أكون سراج أحدهم.

بِقَلم: قَبَس المَجد.

تَحْتَ ضُوءِ القَمَر

إِنَّهَا الْحَادِيَة عشر ظلامٌ حالِك، أَقِف تَحْت ضَوْءِ الْقَمَرِ ، أتأمل بَدِيعَ صُنعِ اللهِ بَيْنَمَا أَرتشف كُوبًا مِن القَهْوَة، نسائم الْهَوَاء العَليل، وغَيْهبٌ جَمِيل، وَتلاطم أمواجِ البَحر، هُدُوء فَاتن!

أَجْزِم بِأَنَّ هَذَا الْوَقْتِ مِنْ أفضَل الْأَوْقَات في حَيَاتِي... قَرَّرْت الْخُرُوجَ مِنْ مَكَانِي المُفضَّل إِلَى بَيْتِي فَقَد قَارَب مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ، لوهلة وانا أمشي خَطَرَ لِي تَذَكر النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَىّ رَبِّي... حَاوَلَت بِأَن أتذكرها بَدَأَت بِنِعْمَة الْبَصَرِ إِلَى السَّمْعِ حَتَّى جِسْم سُليم مُعَافًى...

فَقَد رَزَقَنِي رَبِّي بَيْتًا آمَنًّا يَقِينِي بَرْد الشِّتَاء، وَحرَّ الصَّيْف ، رَزَقَنِي بَلَدًا آمَنًّا، ومسكنا جَمِيلًا، وسترني بملبس، ومَأكل، وَمَشْرَب وَلَم يُحْوِجني لِأَحَد وأغناني بِهِ عَمَّنْ سِوَاهُ...!

نِعْمَة كُبْرَى أَن يُمْنَح الْإِنْسَان الْقُدْرَةِ عَلَى الرِّضَا، فَيستمتعُ بِمَا وَهِبَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ نِعَمِ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، وَيَصْنَع السَّعَادَة بِهَا مَا لَمْ تَكُنْ.

القرآن الكريم

بينما هي غارقة في مكتبها على دراستها إذ دّيْجُور الشّك يتسلسل إلى قلبها، فَتترك دراستها وكل الكتب التي حولها، وتذهب لِتُجدد وضوئها وتلمس القرآن الخاص بها، لترتل من سورة الفتح؛ لعل الله فتح عليها بجودة الحفظ، وسرعة الفهم، ورزقها الحكمة، ومعرفة العلم، وثبات الذهن، والعقل، والحلم، ويفتح عليها فتوح العارفين بحكمته... بدأت بتلاوتها وحينما وصلت للصفحة الثالثة، آية "وَكَانَ اللَّهُ علىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا " تَرَقْرَقتْ عَيناهَا مِن الدّمع كررتها ثلاثا؛ ليطمئن قلبها، حصرت نجاحها، تفوقها، تخرجها، زواجها، توفيقها، وبركة حياتها، وتغير حالها في "كُلِّ شَيْءٍ" من الآية لِتهدأ وتستعيد قِواها رُويداً رُويداً... فَبعدها تكمل السورة وما إن انتهت حتى وضعته جنبًا وشعرت بِلذةٍ وسعادة هذا الشعور الذي تشعره كلما انتهيت من تلاوة القرآن... لله دُرّه، ما أجمله من شعور!

فكان القرآن وما زال المتنفس والآمان التي تلجأ له عندما تضيق الحياة عليها بما رَحُبت! وتظن بأنها ستهلك ينجيها الله في كل مرّة.

وتذكرت حوارها مع زميلتها حينما رأتها ضائقة الصدر:

ـ عليكَ بِالقرآن يا صديقتي، سوف يؤنس وحدتك، ويملئ قلبكِ بهجة وسرور، ستشعرين براحة كبيرة، سيغنيكِ عن البشر.

- لتَقول: كتاب كفيل بعدم احتياجي لبشر؟ أيعقل أن أتخلص من الوحدة به؟!

ـنعم بل وأكثر، إقرإيه بتدبر، بخشوع بتمعن، تمعني آياته جيدًا، قومي بتفسيره اعتبريه صديقك فَكُلما تعمقت به وقرأتهِ أكثر وحفظت آياته، وجعلته يدخل داخلك ليُغير أخلاقك ويُقوّمَ سلوكك، إنهُ معجزة نبينا مُحمَّد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ستنذهلين عندما تقرأينه، يوجد بداخله العديد من المعجزات تفوق الخيال! كَالإعجاز التاريخيّ، واللغويّ، والتشريعيّ... إلجأي له عندما تشعرين بضيق، بحزن، بوحدة اذهبي له عندما تكوني معنوياتك في الحضيض سيريح قلبك وسمعك، سيُطَيّب خاطرك، شعور لا يوصف حقًا! فمن تذوقَ لَذّةَ القُرآن وأُنسَه ونعِيمهُ، أيقَنَ أن بَذل العُمر في غيرِهِ حسرة وندامة..

ـ صاحبي القُرآن، وجَمِّلي أخلاقكِ به.

= حسنًا، إن شاء الله سآخذ بنصيحتك، شكرًا جزيلاً لكِ.

آنَسَ الله قُلوبكُم بِالْقرآن، وأَراحَكُم بِهِ مِنْ كُلِّ تَعَب ونَصَب، ورَفَع بِهِ دَرجاتُكم في عِلِّيين، وثبَّتَكُم بِهِ على الهُدى والصّراط المستقيم..»

رَفِيقُهَا المُؤلِم

وَبَعْد نِهَايَة يَوْمِهَا بِكُلّ تَفَاصِيلَهِ الْمُمِلَّة تَعُودُ إِلَى ذَلِكَ الرُّكْن الْمُظْلِم مِن غُرْفَتِهَا، وَتَغْرَق فِي الْبُكَاءِ تَبْكِي بِحَرَارَة، والدُّمُوع تَسْقُط كَالسُّيول مِن عَيْنَيْهَا اللوزيتين، حُزْنٌ عَلَى حُزن، يَمْضِي يَوْمِهَا وَلَمْ يَتَغَيَّرْ شَيْء سِوَى زِيَادَة كُرهِهَا لِنَفْسِهَا فَقَد أهمَلت صِحَّتِهَا، نَسِيَت شُرِب دوائها، ولَم تَأَبَّه بِتَجَنُّب كُلُّ مَا يُؤْذِيهَا وَيَزِيد الْمَهَا من نصائح طبيبها..

كُلَّ يَوْمٍ يتكرر هذا الألم، لَمْ تعد تَحْتَمِله ، يَعْتَصِرُهَا وَكَأَنَّه يُوجَدْ شَخْصٌ وَبِلَا هَوَادَةٌ يَغْرِز خِنْجَرَهُ دَاخِل أَحْشَائِهَا!

سُحْقًا، لَا تَحْتَمِلُ تِلْك الطعنات المتتالية، فتدمع عَيْنَاهَا وَتَتَحَرَّك شفناها قَائِلُه:

كُفَّ عَنْ ذَلِكَ ارْحَمْنِي، قَلّت حِيلتي، ضاقت دنياي، فَتُرت عزيمتي، كله بسببك.. مَاذَا تُرِيدُ مني؟ لِمَاذَا تَفْعَل هَكَذَا بِي؟ وَلِمَاذَا أَنَا؟ أَكُلُّ هَذَا لِأَنَّنِي لَمْ أَتَنَاوَل دَوائِي؟!

ارْجُوك، اعفني مِنْ هَذَا الْأَلَم وَلَو لِيَوْمٍ واحد.. أتسمحُ أَيُّهَا الْمَرَضُ بأن نعقد جَلْسَة؟

ثُمّ أَرْدَفَت قَائِلة: أُنْظُر سَوْف الْتَزَم بدوائي، وَاجْتِنَابِ مَا نَهَانِي عَنْهُ الطَّبِيب عَلَى أَنَّ تَتْرُكَ بَدَنِي وتبتعد عَنْه، حَسَنًا؟

كَانَت تُتَمتِم تِلْكَ الْعِبَارَات وَتجري حوارًا مَع مَرَضِهَا..

وَهَا قَدْ عقدَت جَلْسَة صُلح مَعَه.. لَن تتجاهل مَرَضهَا وتتهاون بِعِلَاجِه أَوْ حَتَّى تَسْتَهِين بِه، لَن تُهْمَل صِحَّتهَا.

هَذَا مَا قَالَتْهُ لِنَفْسِهَا...

"إنَّ مَرَضَهَا رَفِيقُ دَربِها، إذَا احترمته احترمها، وَإِذَا تجاهلتهُ دمَّرَها فستحسن مُرافقته".

تساؤلات

ماذا لو أن الأمور التي نطمح إليها ونسعى لتحقيقها في الحقيقة تسعى لنا!

ماذا لو ما نتمناه ونحلم به هو مجرد لحظات من مستقبلنا القادم!

ماذا لو كان شخصنا المفضل يفضل أشخاصا آخرين عنا، ولا يُكِن لنا سوى المقت؟!

ماذا لو كان هذا الحزن مجرد نقطة من بحر ذكريات، هل كنا سنعطي هذا الحزن أكبر من حجمه أم لم نلقِ له بالا؟!

ماذا لو وجدت نصفك الآخر وتشاركتما أحزانكما سويا؟

ماذا لو استيقظنا ووجدنا كل هذا مجرد حلم؟!

ماذا لو ما نكتبه يؤثر في قارئه؟

ماذا لو كانت الذكريات المريرة تنسى ؟ هل كانت ستَقْبَع بِتلافيف ذاكرتنا وَتَأْبَى الْخُرُوجِ مِنْهَا، وَكَأَنَّهَا بَاتَت جُزْءٍ لَا يَتَجَزَّأُ مِنْ ذاكرتنا؟

ماذا لو كانت الجنة مكافئة لنا من كل هذا التعب؟ يا سعدنا فوالله سيزول كل هذا التعب الذي يثقل كاهلنا، كله سيزول بالجنة لن نتعب، لن نخاف، ولن نحزن، ولن نبكي.. هي السعادة لقلوبنا!

الْعَاشِرَة حُزْنًا

إِنَّهَا الْعَاشِرَة حُزْنًا بتوقيت الْخُذْلَان ، لَا أَحْمِل سِوَى قَلَمِي لِمُوَاجَهَة هَذَا الْعَالِم ومصاعبه ، أواجهه بِكُل مَا أُوتِيتُ مِنْ قُوَّةٍ وكأنني وَرَقَة صَغِيرَة فِي عَاصِفَة شَدِيدَة ! أُحَاوِل أَنْ لَا اسْتَسْلَم رَغم تَأْكِيد الْجَمِيع لِي بِالفَشَل الْمُحْتَم ، عَاصِفَة شَدِيدَة . . وَوَرَقة صَغِيرَة يراهنون عَلَى تمزقها ، يَقْتُلُونَهَا بِكَلَامِهِم السَّاحق ، يأكدون فشلها بِتَكْرَار كَلَامِهِم مِرَارًا وتكرارًا ، يَلْقَوْن بِأَفْوَاهِهِم مَا لَا يَحْتَمِلُهُ قَلْب إِنْسَان . . فَلَا يَعْلَمُون مَدَى وَقَع أَثَرُ هَذَا الْكَلَامِ عَلَى مسامع غَيْرِهِم ، فَوَاللَّه ، وَتَاللَّه ، وَبِاَللَّه لَوْ عَلِمَ الْإِنْسَانِ مَدَى قُوَّة وَقَع أَثَر الْكَلِمَةِ لِمَا صَنَعَ الْأَسْلِحَة .

أُغْمِض عَيْنَاي ، أَغْلَق أُذُنَاي بِكِلْتَا يَدَاي ، أَنْطَق بِضْع كَلِمَات : أَنْت قَوِيَّةٌ ، قَوِيَّةٌ جِدًّا . . وَبَعْدَهَا أفتحهما وأحاول عَدَمِ النَّظَرِ وَاعْتَزَل مَا يُؤْذِينِي ، أُحَاوِل . .

فَلَمْ يَكْتَفُوا بمراهنتهم عَلَى فشلي بَل يُحَاوِلُون كَسْر مجاديف قاربي الصَّغِير !

أَيْضًا لَمْ يَكْتَفُوا بِذَلِكَ بَلْ قُصُّوا جَنَاحَي اللَّذَان أَطِير بِهِمَا هُرُوبًا مِنْ هَذَا الْوَاقِعِ ، أيقتل الْإِنْسَان بِعَدَمِ الْإِيمَانِ بِهِ ؟

أيقتل جُزْئِيًّا بِبِضْع كَلِمَات تُلْقَى عَلَى مسْمَعِه نَهَارًا وَمَسَاء ؟ !

سَأُخْبِرُك يَا صَدِيقِي عِدَّة قَوَاعِدَ لَرُبَّمَا نَصَائِح كَمَا تَشَاءُ ، اقْرَأ جَيِّدًا :

• كَسرك لمجاديف الْآخَرِينَ لَا يَزِيدُ مِنْ سُرْعَةِ قاربك . .

• النَّجَاحُ مُتَاحٌ وَيَسَع الْجَمِيع ، فَنجاحك لَا يَسْتَوْجِبُ فَشَل غَيْرِك .

• لَا تَيْأَسُ رَغم الصِّعَاب ، فَطعم لَذَّة النَّجَاح لَا يُضَاهِيه شَيْء .

• أَتَعَلمُ يَا صَدِيقِي مَا هُوَ أَهَمُّ شَيء فِي هَذِهِ الْحَيَاةَ ؟

ـرَاحَتَك ... فَاعْتَزِل مَا يُؤْذِيك تَسَلَّم .

• لَا تُقَارِن الْفَصْل الْأَوَّل مِنْ حَيَاتِك بِالْفَصْل الْعِشْرِين مِنْ حَيَاةِ شَخْص آخَرَ .

• آمَن بِقُدْرَتِك ، أَتْقَن عَمَلَك عَلَى أَكْمَلِ وَجْه ، نَمَّى مَوَاهِبك ، طَوّر ذاتك ، عِش حَيَاتِك بطاعة الله.

• مَهْمَا ضَاقَت بِك السُّبُل ، لَا تُبَح بِمَا يَخْتَلِج بِهِ صَدْرُك وَعَقْلُك لِإِنْسَان مَهْمَا كَانَ قَرِيبًا مِنْك ، ف الْأَقْرِبَاء طعناتهم أَشَدّ ؛ لِأَنَّهَا تَأْتِي مِنْ مَسَافَةِ قَرِيبَةٍ .

• "خذ الْحَذَر ، وَأَشْغَل الْوَقْت ، وَأَعْرِضْ عَنْ المحبطين" .

ـخُذ الْحَذَرَ مِنْ أَصْدِقَاء السِّنِين ، وَأَشْغَل الْوَقْت بِأَشْيَاءٍ مُفِيدَة ، سَيضرك الْفَرَاغ بَل سيقتلك بِأَفْكَار وَهْمِيَّة ، وَأَعْرِضْ عَنْ المُحْبَطِين مِن رَغَدِ الْحَيَاة .

تَمّ كُتِبَت بِكُلّ أَمَل .

رِفْقًا بِأَيْدِيهِم الطَّاهِرَة

يَعْمَلُ عَامِلُ النَّظَافَةِ بِكُلّ حُبّ وَ إِخْلَاص لِنَظَافَة مُجْتَمَعه، فَهم يحظون باهْتِمامٍ بالِغٍ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ لَيْلَ نَهارَ فَقَطْ مِنْ أَجَلِنَا، مِنْ أَجْلِ أَنَّ نَذْهَب لِعَملِنا وَالشَّارِع نَظِيف، وَنَذْهَب لحدائقنا وَهِي نَظِيفَة كقلوبهم الطَّيِّبَة، فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نحترم هَذِهِ المِهْنَةُ فَلَا نَجْعَلَ كُلّ الْحَمْل عَلَيْهِم، فَنُخفف عَنْهُم الْجَهْد بمساعدتهم وَلَوْ عَلَى الْأَقَلِّ بِإِلْقَاء الْقُمَامَة مَكَانَهَا فرفقا بِأَيْدِيهِم الطَّاهِرَة.

فَهُو يَسْتَيْقِظ يَوْمِيًّا وَأَوْلَى نَفَحَات الْفَجْر، ثُمّ يَتَّجَه نَحْو عَمَلِه بِكُلّ فَرِح وَنَشَاط وكَأَنَّه يُمَارِس حُبِّ الْحَيَاةِ وَهُوَ يُكْنَس الأَرْصِفَة وَالشَّوَارِع وَيَتَخَلَّص مِن النفايات، يَجْمَع مُخَلَّفَات الْمُوَاطِنِين والبسمة لَا تُفَارِقُ شَفَتَيْه ثُمَّ يَعُودُ إِلَى الْبَيْتِ فِي الغَسَقِ كُلِّ مَسَاءٍ مُنهكًا مَنْ فُرَّطَ الْوُقُوف لَسَاعَات تَحْتَ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ الحَارّة، وَالتَّعَرُّض لمضايقات تَصِل أحياناً لِحَدّ السَّبِّ وَالشَّتْمِ، مضايقات تتصدع لَهَا جُدْرَان النَّفْس فَتَهْوِي فِي لَمْحِ البَصَرِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يأبه يوماً لِذَلِك، كَان جفناً يَحْرُس أَفْرَاد أَسَرْتُه، فَرِفقًا بأيديهم الطّاهرة.

نَحْنُ لَا نُدْرِكُ قِيمَتُهُم فِي هَذَا الْمُجْتَمَعُ إِلَّا إِذَا تَخَيَّلْنَا كَيْف ستخلو الْحَيَاةُ مِنْ دُونِ عُمَّال النَّظَافَة! فلولاهم لامتلأت الْبِلَاد بِالْأَمْرَاض والأوبئة وَهَلَك النَّاس وَاسْتَحَالَت الْحَيَاة فَلَهُم مِنَّا عَظِيمُ التَّقْدِير وَالِامْتِنَان.

فَيَا مَعْشَرَ مَنْ قُدِّرَ لَكُم خِدْمَة النَّاس فَضَّلَكُمْ عَلَيْنَا كَبِير، وَأَجْرُكُم عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ، لِلَّهِ دَرُّكُمْ فَأَنْتُم لِلْغَنِيّ مَعْنَى وَأَنْتُم لِلْكَرَامَة رَمَز وَأَنْتُم الْعَطَاء وَالْخَيْر بِذَاتِه.

جُرْعَة أَمَل

ـسَتأتيك أحلامك الْمُؤَجَّلَةُ فِي وَقْتٍ مُنَاسِبٌ لترسم عَلَى شفتيك فَرَحًا جَمِيلًا لَن يُمْحَى.

ـانهض،

لَا تستسلم كُفَّ عَن التَّسْوِيف وَأَنْهَض

كَفَاك كَسَلًا وَحُزْنًا، ستشرق الشَّمْس، وينجلي الْحُزْن، وتقطف ثِمَار جَهْدَك، وَتَصِل إِلَى مُرادك.. ثق بِنَفْسِك حَتْمًا ستصل.

ـلا تَظُنّ إِنَّك بِلا قِيمَةٍ أَوْ حَتَّى نَكِرَةٌ!

أَنْت قُدْوَة لِطِفْل صَغِيرٌ رآك فَهَتَف مِن أَعْمَاق قَلْبِهِ قائلاً: سأصبح مِثْلَه حِينَمَا أَكْبَر.

أَنْت أُمْنِيَة لِشَخْصٍ آخَرَ.. أَنْت دَعْوَة مُكَرَّرَة فِي غَسَقِ الدُّجَى، مُخَبَّأَة بِقَلْب أَحَدُهُم ويأبي الْإِفْصَاح لَك.

أَنْت الشَّخْص الْمُفَضَّل لَدَى صَدِيق.. وَالْمَلَاذ لِلْآخَر.

أَنْت فَخْر لِأَبِيك، وعكاز أُمُّك، أَمَانٌ لأخوتك، فَلَسْت نَكِرَةٌ!

أَنْت لِلحَيَاةِ حَيَاة.

_تفاءل يَا صَدِيقِي وهون عَلَيْك فَرُبّ الْخَيْرِ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالْخَيْرِ، أَبْشِر.

_عِجاف هَذِهِ الْأَيَّامِ مَهْمَا طَالَت سيعقبها فَرْج كَبِيرٌ فَقَط اتَّبَع النُّورُ الْمُبِينُ ، رَكَّز عَلَيْه وامضي قَدِمَا.

_كن لَطِيفًا، فَالْعَالِم ثَقِيلٌ وسيء بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةُ، حَاوَلَ أَنْ تَكْسِب قُلُوب الْخَلْقِ لَا إِنْ تَثْقُل عَلَى قَلْبِ مَخْلُوقٌ..

_تأكد بِأَنَّ اللَّهَ حَرَمَك مَا تُرِيد لِيُعْطِيَك مَا تَحْتَاجُ، فاطمئن.

_أَعْتَنِي بِقَلْبِك جَيِّدًا يَا رَفِيقُ.

عَبَقْ الذِّكْرَيَات

أتساءل أحيانا، ما مصير الذكريات؟

مَصِيرُ الذِّكْرَيَات أَن تَقْبَع بِتلافيف ذاكرتك وَتَأْبَى الْخُرُوجِ مِنْهَا، وَكَأَنَّهَا بَاتَت جُزْءٍ لَا يَتَجَزَّأُ مِنْ ذاكرتك!

فَنتناسى لَكِنْ لَا ننسى..

فَوَقَع أَثَر الجُرْحِ الْعَمِيق لَن يَزُول فَتُلازمنا آثاره مِنْ ذِكْرَيَات لَا تَمُوتُ بَل تُميت.

وَمَا عَلَيْنَا سِوَى الْمُضِيّ قُدمًا، تَارِكِين كُلّ ذِكْرَى فِي غَيَاهِب الْمَاضِي.

عَلَّ فِي أَحَدِ الْأَيَّام ننسى مَا حَدَثَ لَنَا، وَأَحْدَث بِنَا مِنْ تَغيرٍ جَذري فِي أَنفُسنا.

الْكَمْدُ يَسْتَوْطِن قَلْبِي، وَيَأْبَى الرَّحِيل مِنْهُ، لَا أَعْلَمُ مَا هُوَ سَبَبُ مُكُوثُه دَاخِل فُؤَادِي؟

أيمكن بِسَبَب الْفرَاق؟

أَم الْخذْلَان الْمُتَكَرِّر؟

أَم بِسَبَب الطعنات المتتالية مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ لِي؟

أَيًّا كان لا يهم، فَأنا لَا أُعِيرُهُ أَي اهْتِمَام.

تَلْزَمُنِي اللاَّمُبالاَة تُنَفِّرُ مِنِّي الْأَشْخَاص، أَنَّه أمرٌ أَشْبَه بالكَابُوسِ الَّذِي يَسْحَقُ قَلْبِي.

بَدَت الفَتَاة الْقَوِيَّة.. مُتهالكة صَارَت أَضْعَفُ مِمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ! حُزْنٌ عَلَى حُزْن، أَلَيْسَ هَذَا أَصْعَب مِنْ الْمَوْتِ؟!

الوحدة أجمل

كانت دائمًا تُداهمني فكرة أن أكون لوحدي، أن يمرَّ اليوم دون أن يسأل أحد عني وعن أحوالي وعما جرى بي وتفاصيل يومي، أن أواجه لوحدي أكبر مخاوفي فقد كانت ترعبني هذه الفكرة... أما الآن فلا لم أعد أهتم وكنت أخاطب نفسي: واجهي تلك الأفكار ولا تتهربي منها، فعندما تعلمين معنى الخذلان الجماعي لن يفرق معكِ إن بقى أحد أم لا، سيصبح الأمر عادي أن تبقى لوحدك لا تشاركين إنجازاتك الكبيرة والصغيرة منها، لن يفرق معك حزن أحد منك أم لا، لوحدك فقط يا عزيزتي أفضل ولكن:

- أفضل بكثير من وجودك على الهامش في قلب أحد أو مجرد ان تكوني بضعة وقت في وقت فراغهم فقط!
- تأكدي عزيزتي بأن من يُريدكِ سينهي كل شيء بيده وسط انشغاله، رغم كل شيء .. سوف يسأل عنكِ لن يردعه شيء، ومن يخلق الأعذار والحجج المتكررة استثني من حياتك أيضا بل ساعديه على الخروج بأمان فلن يصلح وجوده معك، أنتِ غالية.

• من يريدك سيفعل المستحيل لوجودك قربه.

• تذكري أن الوحدة من الأشخاص أفضل بكثير من وجودهم معكِ وغياب حُبِّهم عنكِ..!

• عزيزتي الابتعاد ومواجهة مخاوفك، أفضل من الهروب منها.

• اختاري أصدقائك بعناية؛ لأنكِ إن لم تقدر على تغيرهم للأفضل، سيأثرون عليكِ سلبًا فأبقي لوحدك أفضل..

• كُوني كَوردةٍ وحيدة وسط الدَّيْجُورُ، بين الغيوم السوداء تحتفظ ببقايا فُتاتِ نقائِها رُغم غَيْهَب ما حولها، وتَتَمنَّى ألا يتبخر هذا الفُتات..!

حان الوقت لكي تنفض ذِكريات الماضي، وتخرج نفسك من غياهِب اليأس، وتسعى وراء حلمك، حُلمِك الذي لطالما تمنيت أن يتحقق، ثق بنفسك حتمًا ستصلين.

وَقْفَة تَسَاؤُلات

ـ ما مصير الذكريات؟

= مَصِيرُ الذِّكْرَيَات أَن تَقْبَع بِتلافيف ذاكرتك وَتَأْبَى الْخُرُوجِ مِنْهَا، وَيكَأَنَّهَا بَاتَت جُزْءٍ لَا يَتَجَزَّأُ مِنْ ذاكرتك!

فَنتناسى لَكِنْ لَا ننسى..

فَوَقَع أَثَرُ الجُرْحِ الْعَمِيق لَن يَزُول فَتُلازمنا آثاره مِنْ ذِكْرَيَات لَا تَمُوتُ بَل تُمِيت.

وَمَا عَلَيْنَا سِوَى الْمُضِيّ قُدما، تَارِكِين كُلّ ذِكْرَى فِي غَيَاهِب الْمَاضِي.

عَل فِي أَحَدِ الْأَيَّام ننسى مَا حَدَثَ لَنَا، وَأَحْدَث بِنَا مِنْ تَغيرٍ جَذري فِي أَنفُسنا.

ـسَمَاءُ المَجْد.

مُحَاصرة

إنني مُحَاصرة في جسد يتجاوز طوله المتر والنصف.. بجانب حائط بدأت حينها أهلوس بأنه سيقع عليّ بعد ثانية، ودَدت لو أهرب من هذا كله بالنوم، حاولت جاهدة الاسترخاء وعدم التفكير في أي شيء أو اللاشيء؛ لكي أنام.. لكني كالعادة لم أنجح، فلطالما باءت محاولاتي بالفشل.

إني خَجِلة من البوح بأن هذا اليوم الخامس الذي لم أذق فيه طعم النوم.. وأبقى فيه مستيقظة على التوالي، رُبّما سهوت خلال هذه الأيام ساعة وربع ليس إلّا، وخلالها رأيت كوابيس سيئة جدا، رغم أني أقرأ أذكار قبل النوم، وسورة المنجية، والمعوذات وأنام على طهارة ووضوء، ورغم كل ذلك لو غفوت قليلا تهاجمني في غفوتي الصغيرة حيوانات كبيرة، مخيفة ومرعبة، لكن حرمت من أن أنام لخمسة أيام دون نوم وراحة لعقلي من التفكير الزائد.. كل هذا كفيل أن يفقد عقلي، لا أعلم حقا للآن كيف لم أفقد عقلي!

لطالما سمعت بأنكَ ستصاب بالجّنون في حال بقيت مستيقظًا ثمانٍ وأربعين ساعة، أنا لم أنم منذ مئة وثماني عشرة ساعةً إلا رُبع.. يا إلهي، أشعر بفزع اعتراني من أوّل شعرة من رَأسي حتى أَخْمص قَدمي حالما تذكرت ذلك، ما هذه المصيبة؟!

ولكنّ عقلي لا زال معي بل ويفكر في كل شيء، يفكر بجارنا الذي توفت زوجته كيف يعيش دونها هل يا ترى مشتاق إليها، وكيف هي تحت التراب، هل هي خائفة، ويفكر عقلي بالعصفور الذي مات وفقدته للأبد قبل شهر أو أشهر لا أذكر، ويفكر بالقطة التي ذهبت دون رجعة هل هي بالطرقات تشعر بالبرد والجوع؟ ويفكر عقلي بطريقة انتحار حلال، هل حقا يوجد طريقة لأن أقتل نفسي لكن حلال؟

فترد الشخصية الفكاهية داخلي علي: لربما إن رميتِ نفسك فوق مسجد ما.. سيكون حلال لكنها الساعة الواحدة صباحًا مَن يخرج الآن؟

لترد الشخصية الخجولة: لا، ننتحر في البيت أستر.. حاولي جلب مسبحتك وضعيها حول رقبتك لحد الإختناق لربما ستنفع وتكون حلال ونموت في البيت أستر.

من ثم تغضب الشخصية الشجاعة وتقول بمسبحة تقتلين نفسك؟ فلتموتي موتة شريفة لا تجعلي عدة خرزات تقتل قبس الشجاعة!

من ثم تصرخ الشخصية المجنونة وتقول: اذهبي وتناولي كلور نوع: هايبكس جيد جدا! وسيفي بالغرض اشربي وبسرعة صلي ركعتين حتى تموتي وأنتِ ساجدة!

ترد الشخصية المتشائمة: لكنه نفذ الكلور في الصباح.. ألم أخبركِ مرارًا وتكرارًا أنّ حظك سيء..

ترد قبس بذاتها عليهن جميعًا، وهُنّ يملؤهنّ الوَهَن، اسكتن أريد أن أرتاح قليلا، فهلّا لزمتنّ الصمت؟

ترجع لدوامة التفكير وتفكر في خيباتها، وكيف فقدت شغفها، وعزيمتها الكبيرة، وقدرته على الفهم، وسرعة الحفظ، والوحيد الذي لم تفقده عقلها الذي لا يتوقف عن التفكير ليل نهار.. تقول بنفسها: عَلَّني أفقده هو الآخر، رُبّما حينها لن أشعر

بعدها بشيء، إنني أتألم من جسدي والصّداع الرّهيب في رأسي، لا أشعر بشيء على الإطلاق سوى بالموت يقترب مني أكثر فأكثر، يوم بعد يوم..

هل تعرف شعور أن تكون بين الموت واللا موت؟

أن تكون بالخط الذي يفصل الغيهب والنور؟

أن تكون بين النصف.. نصف انسان حي يرزق

والنصف الآخر قد مات بداخلك..

وذاك الإنسان ماتت أمور كثيرة بداخله، شغفه، وضحكته، وبهجته، وأحلامه اللامتناهية، ماتت جميع أموره المعنوية ليتبقى أمر واحد مادي وينتهي أَمره.. لم يتبقَ سوى جسده ويموت.. لطالما حلمت بأن أهرب منه وأطير كيفما شئت، و إلى أي وجهة أريدها دون أن يردعني رادع، أو يضبطني ضابط.. لكن للأسف جسدي يُعِيقني عن الطيران.

لكن لو حدث ما أرجو من الله، وأخذ الله أمانته.. هل سيكون قبري روضة من رياض الجنة أم حفرة من حفر النار، ويعتريني الخوف الشديد من قلة أعمالي، بأيّ عملٍ ألقى الله، لا أذكر أنني فعلت عمل صالح كبير، لربما بعض من الأعمال الصغيرة وحسب..

هل حقا ستدخلني الجنة، أعتقد لا.. لكن لا تستصغري أي عمل وفقك الله بالقيام به..فلا تدري يا قبس أي عمل تدخلين به الجنة حتى و إن كان صغير.. فلا تقيسي دخولك إياها بكثرة الأعمال وحجمها.. قيسيها بنيتها، ومدى صدقها، و إخلاصها لله، وأرجو من الله أن تشملك رحمته... فَاللّهُمَّ عاملنا بفضلك و إحسانك لا بعدلك وميزانك، اللّهُمَّ عاملنا بما أنتَ أهله، ولا تعاملنا بما نحن أهله، إنك سبحانك أهل التقوى والمغفرة.

بين عِبْرة وعَبْرة

لقد تجاوزت غيابك المُوحِش يا رَفِيقي، ما عاد يُبكيني، باتت كل تلك المواقف الجَّميلة مُجرد ذِكْرَيَات تَسْتَوْطِنْ ثَنايا ذَاكِرَتِي، أشعر بها حِينما أنظر إلى ثنايا كِتَابِي.. أتجول به وأتذكر بعض الذِّكْرَيَات الجَّميلة، فأضحك تارةً، وأبكي تارةً أخرىٰ لتسقط على إثْرها بَعضُ العَبْراتِ مِن عيني، أثَر تِلك المواقف التي وَثّقتها يَداي، فما جَنَيت مِنها سوى عِبْرات أتَّعِظ بها إثْر ما حلَّ بِي.. فأدع كتابي هذا الذي يزيد كَمِدَ قلبي، وأدع مَحبَّة الدُّنْيَا، وأمضي كَعابِر سَبيل لا يَتَوطَّن..

وأتذكر قَول رَسُولِنا الكَريم: "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيب أو عَابِر سَبيل"

كَمِدَ: حُزن شَديد.

أثَر: علامة أَو دَليل.

إثْر: بَعد، عَقِب.

عَابر: ماضٍ، المار بالطريق بلا توقف.

عَبْرات: مُفردها دَمعة وهي دَمعات.

عِبْرات: مُفردها عِظة وهي عِظات.

يَسْتَوْطِن: يتخذ وطنًا له.

ثَنايا: في داخله وطيّاته.

أتجول: اِنتَقَل، وطَاف.

طفح الكيل

لقد طفح الكيل.. تُردِد تلك العبارات بعدما تجرعت كمًّا هائلًا من الكَبَد.. تتأوه من شدة ألمِ معدتها فَلقد فعل الألمُ أفاعيلهُ معها، تجلس سَحابة النّهار وبعضًا مِن الليل تتلوى من شدة وجعها إثر مَرضٍ في معدتها.. لقد التهمت كُلّ أدوية بيتها، مِن مُسكنات إلى مضادات حيوية وصولًا إلى الحقن المسكنة للألم، تريد فقط إخماد الحريق داخلها بأي وسيلة مُمكنة لكن جميع محاولاتها تبوء بالفشل.. فلقد وَصَب الألم.

تلجأ إلى شيءٍ آخر.. تغلي الماء، وتضع جميع أعشاب بيتها وتتركها تنقع.. وبعدما تجهز تشربها؛ متأملةً زوال ألمها لِسُوَيْعات لا أكثر.. ولعلّ معدتها تهدأ قليلًا تشعر وَيكأنّ بُركانًا تَوطَّن في أحشائها وَوجد مَلاذًا آمَنًا له! وذلك البركان يحتوي على الكثير من الصُّهارة القابعة في معدتها وتأبى أن تصعد إلى فوهته، فقط حُرْقة كبيرة تغلي في أحشائها كَغَلْيِ الحَمِيمِ! وبعد تناولها لأي وجبة ـ و إنْ كانت صغيرة ـ تبدأ تَتفنَّن معدتها في إظهار أشدّ ما لديها من بَأسٍ لها.. وَيكأنّ لسان حالها يقول: انظري، هل ستقدرين على تَحمّل هذا؟ لتردّ عليها: أكيد فَأنا فتاةٌ قوية كما عَهدتها. لتردف قائلة: حسنًا، سَأُرِي تلكَ الفتاة القويّة أشد ما لديّ وسنرى ما إذا تحملت ذلك أم لا.

وكَبِد جُلَّ ذلك تتصل رفيقتها؛ لتعاتبها على جفائها عنها! فقط تفتح المكالمة حتى تنهال عليها بوابلٍ من الكلام.. ولا تَنْبس هي بِبنت شَفة، فلا يسعفها فمها الصغير بالتفوه؛ لسرعة كلام رفيقتها، وينتهي كل الذي بينهما بحظرٍ مِن قِبَل رِفيقتها، سُحقًا، أحقًا هذه صُحبة، ألا تشعر بي يا صاح؟ ألا تلتمس عذرًا مِن السبعين عذرًا الذي أقسمت بأن تلتمسها لي إن جافيتكَ يومًا؟

بهلوان المسرح

في قلبي كَمَدٌ كَمِدّ السَّماء، فَكُلّ مَن حَوْلِي يَغْبُطنِي عَلَىٰ بُرُودَةِ أَعصَابِي.. وهم لا يدركون أنّني قلقٌ حِيال جُلِّ الأمور بل وسَفاسِفها أيضًا! وبأنّ كُلِّ ذلك سوى قناعٍ أرتديه أمامهم، أشعر بأنني بهلوان على خشبة مسرح وعَلَيه أنْ يُتقن دوره بإتقان وبَراعة، ولا يُشْعِر الجمهور العَزيز ـ ولو شخصًا واحدًا ـ بما يعتريه قلبه، وبما يشعُر به، حقًّا إنه لأمرٌ موجع! عليه فقط أنْ يسعدهم حتى و إن كان عكس ذلك، المُهِم هُم وليس هو.

لطالما تمنيتُ بأن أكف عن دور ذاك البهلوان ولو لبضعة أيام... فأعاهد نفسي بأن أبين لهم حَالي، وبأنني لست خَالي الذهن، فرح القلب، شرح الصدر.. وبأن السعادة تذهب وتأتي كما الحزن، وبأن دموع عيني تهطل كل ليلة، وبأنني بشر من طين، ولست مجرد آلة لا تشعر بشيء ولا تستريح.. حتى الآلات تستريح؛ لِتُشحَن بالوقود أو بالبطارية.. وكذا نحن البشر نستريح كل فترة من لَواعِج الحياة ومكابِدها.

هديةُ عابِر

إنه لأمرٌ مُفجع أنْ يُهديكَ أحدُهم سورةً باسمِ قارئٍ مَا ثم يرحل.. وحينما تسمع آيات السورة يرتلّها القارئ والتي أغلبها بمقامٍ حزين مثل مقام الصبا.. حينها تبدأ تترقرق عيناكَ لتبكي كما لو أنكَ لم تبكِ قبلها أبدًا.

لا تدري ماذا حلّ بِحَال مَن أهداك إياهَا، أهو تحت التراب أم هو حيٌّ يُرزق، ولا تدري أتبكي حين سماعها يا مسكين على حالك الحَالِكة بعد رحيله أم خشيةً لله، أم الإثنين معًا؟

فشيءٌ مؤلم أن يهديكَ أحدهم هدية تبقى معك طيلة حياتك.. فَهذه الهدية الفريدة من نوعها التي مرّت عدة سنوات على فراقك مع صاحبها.. هي ليست بحيوانٍ أليف فيموت، ولا هي بوردةٍ لتذبل، ولا هي بكتابٍ فَيُمَزّق، ولا هي بشيءٍ لذيذٍ فَيُؤكل، ولا هي برسالةٍ لتُلقى في أقرب قمامة بعد زوال صاحبها من حياتك؛ لتتخلص من كل الذكريات المادّية بينما الذكريات المعنوية تقبع بِتلافيف ذاكرتك وَتَأْبَى الْخُرُوجِ مِنْهَا، وَيكَأَنَّهَا بَاتَت جزءًا لا يتجزأ من حياتك.

وبعد ذلك جُلّه تتناسى الأمر لتمرّ على أذنيكَ السورة مُشغّلَةً في سيّارة أحدهم في الشارع، أو في السّوق، أو إمام يتلوها في مسجد حيّك، أو من خلال شخصٍ يستدلّ بإحدى آياتها الكريمة كدليلٍ لحكم شرعيّ، أو من خلال ختمةٍ تختمها لتمر بتلك السورة ويمر شريط تلك الفترة مع صاحب الهدية أمام عينيك.

ويكأنّ نسيانها من عقلكَ وقلبكَ مُحال، ولا يُمكِن تَحقِيقُه! وكُتِبَ عليكَ بأن تلزمكَ وتحفظها عن ظهر قلب، صفحاتها، وعدد الآيات بها، ورقم الصفحة من بدايتها لنهايتها، وبأي وجه من الأوجه يكمن آياتها، وتفسيرها، وسبب نزول آياتها آية آية، وبعدها تعاهدُ نفسك بأن تحفظ باقي السّور لتختم القرآن الكريم، وقبل ذلك تخلص النيّة لوجه الله تعالى، ولا يشوبُ ذلك العمل العظيم شائِبة ونيّةً أخرى.. وتختمه بفضل الله عليك، ويكون سبب هدايتك هديةٌ عابرة من شخصٍ عابر في حياتك.

وهنا لا تدري أتحزن لذهاب صاحب الهدية من حياتك أم تفرح لِعِظَمِ أثر هديته في حياتَكَ الدّنيا والآخرة؟ بل وأعظمها وأجلّها بأن عرّفكَ على صاحبٍ عظيم، لا يُمَلّ كلامه، ولا يَخيبُ بِتَهدِئة نَفسك، و إِرَاحَةِ قَلبِك وعقلك.. ألا وهو القرآن الكريم.

وليس ليس بيدكَ حِيلة سوى الدّعاء لصاحب الهدية بالمغفرة والرحمة.. ـ إن كان تحت التراب ـ وعساهُ بخير - إن كان لا يزال فوقه - .

بِقَلم: قَبَسْ المَجْد.

موت عزيز

إنني لأَغبطُ أولئِكَ الذين لا يعتنون بمخلوقات أليفة، فَهُم لن يذوقوا طعم الفقد والحنين إن مات أحدهم، ولن يتجرعوا حُزنًا سَيقبع بقلوبهم لبقية حياتهم ويعانون من مشكلة لن تُحَل..

تحزنُ؛ لأنه ذهبت روح قد تشاركت معها أفراحك، وتشاطرت معها أحزانك، وأطلعتها على بعض الأسرار التي تستوطن قلبك، وعاشت معك فترة لا بأس بها، ونشأت بينكما ذكريات كثيرة وتعلقتَ بتلك الروح.. لن يفهمكَ أحد غير من ذاق ذات الشعور بذات الألم.

لربما يظن البعض أنه أمرٌ سخيف وصغير لكنه تالله عظيم في عين من جرّب ذلك الشعور.. شعور الفقد، فقد أقرب مخلوق لطيف على قلبك وَيكَأَنَّك حينها قد فقدت إنسانًا عزيزًا في حياتك بفقده ولن تراه مجددًا! لكنه لا يوجد إنسان عزيز وكان بمحله لذا لربما شعرتَ بهذا الكمد في قلبك.

مُرٌّ مَرَّ على قلبي حينما ذَهِبتْ رُوحكَ يا عزيزي، فَلقد اشتقت إليك، وفعل الحُزن أفاعيلهُ بقلبي، فَبعد رَحِيلك أنظر إلى السّماء، ويُخَيّل إليّ أنّكَ عصفوري في وجه كُلّ العصافير التي في سَماءِ مدينتي.. وأتأكد بأنّ الحياة زائلة كما زُلتَ منها.. ولا شيء يستحق أن نعصي الله لأجله! أعترف أنه بموتك اتعظت وتأدبت قليلًا، صَدَقَ مَن قال: "كفى بالموت واعظا".

وأتعجب كيف لمخلوقٍ صغير أن يُسَبِبَ رحيله أثرًا كبيرًا علىٰ قلب بشري! الأمر الذي يطمئِنُ قلبي بأنكَ رحلت وارتحت من قُبحِ أفعال البشر، وذهبت إلى مكان جميل حيث لا يوجد فيه البشر أو أي شي يكدر صفوك ويعكر مزاجك.. أو تحولت إلى حفنة تراب فقط!

لقد ارتحتَ من سخط جارنا على صوتك، وتغريدك العذب وقت بزوغ الشمس ووقت زوالها، وأيضا هو ارتاح منك.. أتساءل كيف هو شعورك حينما ارتحت من الأرض وما عليها؟ لَرُبَّما لن أجد لسؤالي إجابة كما لن أجد صاحبها أيضًا.

إنني لأغبطك على رحيلك، وعلى ما وصلت عليه من انتهاء وقت حياتك، وانتهاء معاناتك من البشر، وأفعالهم، ولَوَاذِع كلامهم السّاحِق، وهذا ما يطمئِنُ قلبي قليلًا؛ أنّك ارتحت للأبد مِنهم، وهذا الأمر لِوحده لَشيءٌ مُطمئن.

كُتِبَت الخاطِرَة بِكُلّ أَلم.

أمرٌ عُجاب

أرى أنّ العَجَب بل وكُلّ العَجَب في مَن وهبهُ الله عقلًا مُعافى، وجسدًا سليمًا، وسِعَة علمٍ، وكثرة مال، وصحة في حواسه.. فيجازي خالقه على ما وهبه الله من نعمٍ لا تعدّ ولا تحصى بعصيانه الشديد له وجحوده، و إصراره على سوء أفعاله، حينها أتساءل بسؤالٍ ذُكِرَ في الذِكر الحكيم: : "هل جزاء الإحسان إلا الإحسان".

فيستعملها في كل شيء مَنهيٌّ عنه، وغير جائز... فيتجاوز حدود الله، ويستعمل عقله بتصديق خزعبلات وأشياءٍ غير صحيحة، ويقومون بفعل أمورٍ غير مناسبة لأعمارهم.. ولو عَرَضنا أفعالهم تلك على طفلٍ صغير لميّز ذلك الطفل الصغير صحيح أفعالهم من نقيضها!

إذن لماذا لا يفرقون بين الصحيح ونظيره؟ والأقبح حينما تنصحهم بهوادةٍ شديدة يخبروك بأنهم يفرّقون ويعلمون علم اليقين بأنّ ما يقومون به خاطئ ولا يجوز فعله ـ لكوننا مسلمين ـ لكنهم رغم ذلك يفعلونه لمجرد أنه جميل؛ لكي يشعروا بلذةٍ لحظية تمتد لسُوَيعات قليلة من ثم يعودون لحياتهم الروتينيّة.. وكأنهم لم يفعلوا شيئا!

لوهلة تتساءل هل تأنبهم ضمائِرهم أم ماتت واستساغت أخطاءهم ليصبح فعلهم بالتدريج من شيءٍ فاحش وشديد القبح لشيء عادي بل أقل من ذلك!

وأولئِك عُميان البصيرة يتخبط رأيهم وفعلهم بين الصائِب والخاطئ.. فحينما تجلس وتتناقش معهم تشعر بأنّ على عقلهم غشاءً وكذا أفئدتهم.. طُمِست، وحالما تدخل معهم في حوار ويتفوهون بكلامٍ.. لا أدري بماذا أنعته حتى السَّفِيه يستحي قوله.. حينها يتأكد شعورك ذلك عنهم.

لا تدري ماذا تفعل معهم؟ بعدما حاولت جاهدًا وبذلت قُصَارى جهدك في توجيههم و إرشادهم إلى الصواب.. وهم لا يتأثرون بل يحاولون التأثير فيك..!

رويدًا رويدًا تنسحب من توجيههم ونصحهم؛ كي لا يأثروا فيك أكثر.. وفي جميع محاولتي معهم شعرت بأنّ بيننا حبلًا طويلًا.. أنا أشده؛ لكي يخرجوا من غياهب جهلهم لنور علم الله، وهم يشدونني من نور علميَ الضئيل بالله إلى غياهب جهلهم.

وحالما شعرت بأنني بدأت أقترب من ديجور جهلهم.. أرخيت الحبل لأعلن استسلامي من لعبة شد الحبل أو نصحهم..

وكم يأسفني رؤيتهم في ديجور الجهل؛ لأنهم عزيزون عليّ..

بعدها ألمس مُصحفي وأفتحه بطريقةٍ عشوائية فترى عيني شيئا أبكاها، وقضّ مضجعها، وأرّق جفنها.. وهي آية يخاطب بها الله رسوله: "إنّكَ لا تهدي مَن أحببت ولكنّ الله يهدي مَن يشاء".

هدانا الله و إياكم وأنار بصائرنا وثبتنا يا الله.

ذنوب الخلوات

احذر من ذنوب الخلوات، ومن الفراغ؛ فلا تنتج المعاصي إلا من فراغ.. ذاك الفراغ القاتل الذي يظهر حينما تتوارى وتختفي به عن أعين الناس، وتختلي به مع نفسك متغافلًا بأنّ الله معك أين ما كنت، مُتذكِرًا بأنّ النّاس قد ذهبت، وزالت عنك، ليبدأ الشيطان بنزغك والوسوسة في أذنك وتجميل تلك المعصية، وتصغيرها لناظرك ويكأن الأمر شديد السهولة بل ويقنعك بأن المعصية صغيرة وسهلة ولن تكلفك شيئا ويكبر لك رحمة الله، ولن يلحظ أحد ذلك..

وبعد فعلتك يأتي دور الندم اللامتناهي وجلد الذات المؤلم، وليكمل الشيطان عمله ويصغر لك رحمة الله ويكبر ذنبك.. ولا أضع اللوم كله على الشيطان فلربما بعض اللوم ـ ما لم يكن كُلَّه ـ هو مِن نفسك الأمّارة بالسّوء.. كما اعترفت امرأة العزيز حينما راودت يُوُسفَ عن نَّفسه.. وقالت: {وما أُبرِّئُ نفسي إنَّ النَّفسَ لَأمّارةٌ بالسُّوء إلّا ما رحِم ربّي إنّ ربي غفور رحيم}.

وحينما تمر بمثل ذاك الأمور وتأتيك تلك الوساوس والنزغ استعذ بالله وتذكر قوله تعالى: {وإمّا ينزغنّكَ من الشّيطان نزغٌ فاستعذْ باللهِ إنّه هو السّميع العليم}.

وانشغل بأمر مفيد وتذكر بأنك لو هممت بفعل السيئة ولم تفعلها ستكسب أجرا بعدم قيامك بها! لقول رسول الله: "وإن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة".

تخيل أنك ستكسب حسنة كاملة بمجرد عدم فعلك لتلك الفكرة السيئة، أخجلتنا برحمتك يا الله.

وإن فعلتها فأتبع تلك السيئة بحسنة؛ لكي يمحها الله عنك وعسى يبدل خطاياك لحسنات كما قال النبي: " اتّقِ الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالقِ الناس بخلق حسن".

ولا تصر على سفاسف ذنوبك، واستغفر الله، كما قال ابن عباس رضي الله عنه: "لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار".

وعاقب نفسك بكل سيئة عدد كبير من الحسنات ولعل الله هداك بالتزامك بالطاعات والفرائض، وحرصك على فعل النوافل والسنن.. كالصدقة بربع ما تملك من مال، أو مضاعفة عدد ركعات قيام الليل وصلاة الضحى، أو زيادة وردك اليومي لعدة أجزاء، وانهمك قدر ما استطعت بفعل الخير حتى لا تجعل متنفس لعقلك بالتفكير بفعل معصية ما.. لربما كان هذا العقاب جميل، ومتعب للنفس لكن ستفكر قبل أي معصية بالعقاب المتعب ولن تفعل تلك المعصية..

وتب إلى الله فباب التوبة لم يُغلق بعد.. تب إلى الله لو أذنبت مرارا وتكرار ولا يسوغ لك الشيطان بأنك فعلت معاصٍ كثيرة ولن يقبلك الله بل سيقبلك أنت وتوبتك، لقوله تعالى: {وهو الذي يقبل التَّوْبَةَ عَنْ عباده ويعفو عَنِ السَّيِّئَاتِ} فقط عد له بقلب صادق، خجل، بدموع لعبدٍ أنهكه الذنوب ويريد الخلاص منها وبدأ صفحة جديدة.

أجمل اللباس

ما أجمل أن تحتشم الفتيات بلباس ساتر وطويل، وتتشبه النساء بأمهات المؤمنين، أكاد أجزم بأنه لا يوجد أجمل من ذلك!

ولا سيّما المنتقبات يخفين كل عضو في جسدهن حتى أيدهن والبعض منهن يخفي عينيه أيضا.

وهنا لا يعني ذلك بأنها مضطهدة أو مُجبرة كَرَها على لباسه.. كما يرى كثيرٌ من الناس ذلك.. بل ارتدته بقناعتها التامة فترى نفسها جميلة، وفاتنة، لذا تخفي جمالها ومعالم وجهها الجميل، وكل مثقال ذرة جمالٍ في مُحيّاها وجسدها مِن كُلّ عابر سبيل لا يستحق أن يرى جمالها الفاتن والخلّاب.. ولو بعض نظراتٍ مسروقةٍ إليه.

فتُواري جمالها لمَن أحبها بصدق، وتَقدّم لخطبتها، وتزوجها.. حينها تُظهِرُ لهُ كُلّ جمالها.. ليتبدَّى لزوجها ما سترته عن جميع الرجال، وهنا أمرٌ جميل بل غايةٌ في الجمال أن تخفي ما تُحب لمَن تُحب.

فَالفتاة المُنتقبة لا تستوي مع الفتاة التي تلبسُ ما يصف، ويشف من جسدها.. فتساعد معشر الرجال في غض أبصارهم، وعدم إطلاقها تجاههن.. تساعدهم بعدم فتنتهم، تخاف أن يُفتَن بها عبدٌ، تقيٌّ لله، ويشتكيها لله، لما فعلته بإثارته بجسدها، وملابسها الضيقة والتي تصف جسدها، وتكون سببًا في انتكاسته، ولربما لن يسامحها طيلة حياته حتى يوم القيامة..

فهي تنفي قول " لا يُهم المَظهر بِقدر ما هو مُهم الجَوهر".. وتؤمن بسورة النور وما نزل بها من توجيهات إيمانية في الحجاب وأمور عدة للنساء، وتُؤمن بآية "يا أيّها الذين آمنوا ادخلوا في السِّلمِ كافّةً.. " والسلم هنا ليس السّلام.. بل معناه الإسلام.. بأننا نحن كمسلمين ندخل بالإسلام بجميعه لا أن نؤمنَ ببعضه ونترك بعضًا آخر.. وكذا هي المنتقبة والمختمرة تكون بكلا الأمريْن بالمَظهر والجَوهر مُسلمِة..

ونعم القدوة أن تكون الفتاة المنتقبة قدوةً للفتيات الصغار، فتجذبُ انتباههنَّ بتعاملها السَمِح، وأخلاقها الحسنة، ولباسها السّاتر.. وتكون مثالا يُحتذى به، وتعكس صورة الإسلام بمعناه الصحيح.. فيقتدون بها.

وبئس القدوة من فتاةٍ اقتدى بها الكثيرات بلباسها الفاضح لجسدها، وتبرجها، وزينتها، وقهقهة ضحكاتها، وخضوعها في القول مع الرجال الأجانب من غير محارمها..

والبعض يخرجُ ويحاول التحدّث باسم "الحقوق والحريات" لِيُسقِطَ اللباس الساتر عنهن.. والبعض الآخر يُبدِي رأيه ـ بالرغم أننا لم نطلبه منه ـ ويقول: إنّ النقابَ ليس جميل.

وهُنا المطلوب.. أن لا تصبح جميلة وتَفتِن غيرها سواءً رجالًا أو نساءً.. و إنْ صح قولي الغاية من لباس اللباس الساتر، والنقاب للفتاة المُسلمة أن تخفي جمالها الأخّاذ، والسّاحر، والفاتِن لمَن يستحقه فَحسب

وقبل كلّ ذلك تُخلِصُ نيّتها لوجه الله الكريم، ولتتقرب به لله وتكفي شرّ كلّ ذي شرٍّ من الاقتراب منها والتحرش بها.. وتَأملُ من الله بأن يشفع لها سترها ولباسها، وجاهدها بنفسها، وتحمي ذاتها في زمنٍ باتت الفِتَنُ فيه كقِطع اللَيلِ المُظلِم.

بِقَلم: قَبَسْ المَجْد

هدانا اللهُ و إيّاكم، وثَبتَهُنَّ اللهُ كَبِد الفِتَن الكثَيرة.

اسم الله الوهاب

قالت صديقتي: إنّ نجاحي مستحيل، كلهم يُراهنون على فشلي، ولطالما شعرت بأنني درست القليل، لذلك سيجازيني الله بمعدل قليل، ونتائج منخفضة..

فأجبتها قائلة:

بالبداية سأذكّركِ بآية "وأعِدُّوا لهم مّا استطعتُم" أي افعلوا كل شيء تقدرون عليه من قوة بدنية أو قوة عقلية.

بمعنى: بكل ما أوتيتِ من قوة أسعي لتحقيق حلمك وهدفك.. فالله لا يطلب منكِ فعل المستحيل سوى السعي بقدر وسعك وطاقتك لا أقل من ذلك ولا أكثر.

وتذكري بأن الله عليم وكريم، فهو يعلم ويرى.. فيرى طالبًا ليس لديه إمكانيات مادية؛ ليشتري دوسيات، شروحات، يسجل مراكز، وأساتذة خصوصي، أو لمجرد شراء بطاقات لشرح منهجه.. ومرجعه الوحيد هو الكتاب رغم أنّ أصحابه تعددت مصادرهم، وكَثُرت مراجعهم، وهو انفرد بمصدر واحد ألا وهو الكتاب المنهجي.

وذاك الطالب حاول بقدر استطاعته، وبما توافرت لديه من إمكانيات.. سعى واجتهد فيها، وفعل كل ما بوسعه، فالله يرى سعيه فأكرمه بالكثير.. رغم أنه لم تتاح له إمكانيات كثيرة لكن رغم كل ذلك أكرمه الله بمعدل مرتفع، وتحقيق أمرٍ مُحال، ونتائج مبهرة، أصدمت جميع مَن راهن على فشله ـ وهُم كُثر ـ وحتى أصدمت الطالب بذاته، فكان يظن أنه فعل القليل مقارنةً لما فعله أصدقائه!

لكن الله عدل ورحيم، إذا سعى عبده وجد ما يرضيه، ونضرب مثال؛ لتقريب المعنى، هنالك طالب يعاني من مرض عضال، ومزمن.. وهو من شدة ألمه لا يقوى على دراسة ساعات طوال متواصلة؛ لشدة ألمه! ففعل ما بوسعه ولم تتجاوز باليوم دراسته أكثر من خمس ساعات، فآمن بآية "لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا" وآية "وأَعِدُّوا لَهُم مّا استطعتُم"، ففعل كل ما بوسعه وعمل ما استطاع.. فرأى منه ما بوسعه، فرزقه الله ومَنّ عليه بمعدلٍ مرتفع!

بينما الطالب المُعافى السليم، لم يكن هنالك عائق يعيقه عن دراسته، فتوفرت له السُبل الكاملة لدراسة ساعات طوالٍ متواصلة؛ لصحة جسده.. ففعل ما بوسعه ودرس لعشر ساعات وما يزيد عنها! وآمن بآية "إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا " ففعل

أحسن عمل، وأخذ بكل سبب، بكل ما آوتي من قوة عقلية وبدنية.. فكان جزاؤُه بأن أكرمه الله بما سعى، وبما دعا.. فلم تذهب دراسته سُدىً، فوجد ما بذله، وجَنى ثِمار جهده وتعبه.

فَالخمس ساعات عند المريض هي ذاتها العشر ساعات عند المُعافى، فالله عدل ورحيم بعباده.. فاجعلي الله يرى منكِ كل استطاعتك، وما بوسعك دون وضع اللوم على الظروف أو جلد الذات.. فقط افعلي ما بوسعك وما قدرتِ عليه.

واسألي الله النجاح والتوفيق، حتى لو انعدمت الأسباب، واستحالت في مقاييس البشر، ونادي الله بيقين ثلاث مرات قبل طلبكِ له مسألتك، باسم الله: الوهّاب.

هل تعرفين ماذا يعني اسم الله الوهاب؟

بأن الله يعطي لعبده ما أراد دون أسباب.. فرغم انه استحال الأمر، وانعدم السبب، وقال البشر: مُحالٌ الأمر.. أكرم الربُّ عبدَه؛ لأنه دعا العبدُ ربَّه بيقينٍ تام بأمرٍ استحال بمقاييس البشر، لكن ذاك الأمر عند الله لم يكن بمستحيل، فأمره بين الكاف والنون "وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ"، وحاشا أن يعجز الله تحقيق أمر لعباده،

فهو ربّ المعجزات "وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا" ومسألة عبده الذي يظن الجميع انها مستحيلة هي عند الله هيّنة" كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ" هين، وسهل جدا، تحقيق دعوتك بملح البصر التي يراها الجميع شبه مستحيلة أو مستحيلة.

وحتى يحاول الشيطان أن يزرع في قلبك اليأس بعدم تحقيقها لكِ، ويدبَّ الذُعْرَ في فؤادك، وحالما تصغي لوساوسه تمتنعين عن الدعاء وتحققي بعجزكِ غايته.. ولو حاول الشيطان ذلك ما عليكِ يا عزيزتي سوى التعوذ بالله منه.

ولا تملي من الدعاء أو تقنطي منه رحمة الله "وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ ۖ" وما فسره السعدي في تلك الآية: إن الرجاء يوجب للعبد السعي والاجتهاد فيما رجاه، والإياس: يوجب له التثاقل والتباطؤ، وأولى ما رجا العباد، فضل الله و إحسانه ورحمته وروحه.

وتذكري قصة زكريا رغم انعدام الأسباب واستحالتها كان لا يمل من طلب طفل فقط طفل.. لكن الله أكرمه بأكثر مما يريد، بَشّره الله بيحيى، فكان مصدقًا بعيسى، وسيدًا، وحصورًا، ونبيًا من الصالحين، ولمْ يجعل له من قبل سَمِيًّا، فأعطاه أكثر بكثير مما

يريد.. رغم أنه وَهَن العَظمُ منه، واشتَعَلَ رأسُهُ شَيْبًا، فَلم يكُن بدعاء ربّه شَقيًّا، ورغم أنّ امرأته عاقر ليست عقيم، فالعقيم قد تنجب بعد العلاج ـ بمقياس بشري: يوجد أمل ـ بينما العاقر عدم القدرة على الإنجاب نهائيًا ـ بمقياس بشري: مُحال تنجب ـ لكن اللهَ بشرّه وقال: "يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا" هُنا تعجب زكريا؛ لأنّ أسباب الدنيا قد انقطعت، واستقبل البشرى باستبعادها، وبدهشة كبيرة، فَقال: "قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا" انظري للرد الجميل: "قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ".

رددي تلك الآية حينما يُراهن الجميع على عدم تحقيق أمرك، على أحلامك، على أهدافك، على ما ترغبين به.. كلهُ هيّن على الله.. فرحمة الرحيم لا حدود لها، ولا تتوقف عند أسباب الدنيا، وموازين البشر الصغيرة.

فاستمري على الدعاء عزيزتي واحذري بأن يدخل بقلبكِ رَيْب بِعدم تحققها، وأطلبي مسألتك باسم الله الوَهّاب، فهو يهبْ مَن يشاء بغير حِساب "يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ".

اللَّهُمَّ اجْعَلنا مِمَن تشاء أن تَهِب لَهُم.

اللَّهُمَّ اذقْنا حَلاوة الهِبَة فِيما سَألنا.

بِقَلم: قَبَسْ المَجْد.

الخاتمة

مأساة مُوجعة عندما نَكَأَتْ بعضٌ من الذِّكْرَيَات جُرْحًا قَدِيمًا... فلطالما تمنيت أن ترجع صديقتي المُفضَّلة ـ التي لا أعلم عنها شيء منذ سنتين ـ لا سيّما في لحظات نجاحي و إن كانوا يَرَوْنَها صغيرة ولم يلقِ لها أحدٌ بالاً.. فهي عظيمةٌ في نفسي فلم تأتِ تلك الإنجازات العظيمة على طبق من فضة ولم أستيقظ بَغْتة لأجد نفسي على ما أنا عليه الآن..

فكل الإنجازات التي صنعتها ـ و إن كانت صغيرة ـ احتاجت سهرًا، واستيقاظًا في بُكْرة النّهار، و إيثارًا لأشياء كثيرةٍ مُسلّية... وبفضل الله ثمَ أخذًا بالأسباب، ففي كل مرة أفرح على إنجازٍ صغيرٍ فعلته أتذكرها فتترقرق عيناي، ويستوطن فُؤَادي كَمدٌ لن يذهب حتى بمجيئها فَلرُبّما لن تكون كما عهدتها ستتغير تماماً بل أجزم ذلك.

لذا أكتب بهدوءٍ صاخب وبداخلي بركانٌ أخمده في كتاباتي تلك... حقًا لن نعرف قيمة الشيء الثمين إلا إذا فقدناه وجرّبنا غيره، فَنتآكل من الداخل نتيجة الخذلان

والحنين، وتتلاطمُ الذِّكْرَيَات داخلنا، ونكتفي بالتّناسي علَّ في أحد الأيام يحينُ اللقاء، أو ننسى حقًّا...

لكن الله عوضني بذهابها بأشخاص لطفاء غير مزعجين.. وكما وجدت أناس سيئة أو شبه أناس.. بالمقابل لا أنكر أنني وجدتُ أناسًا جيدين.. كصديقتي جوري اللطيفة هي جميلة قلبًا وقالبًا وأرجو من الله أن لا نفترق.. ونجتمع ذات يوم رغم أنه يفصلنا بلدان ومسافات كثيرة.. و إن استحال لقاؤنا في هذه الحياة..

يكون لقاؤنا في الجنة، فهي صحبة في الله.. فدائمًا ما تذكرني بالله ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأخبرتها ذات يوم: إن دخلتِ الجنة يا جوري ولم تجديني فيها.. فاسألي الله عني علّ صحبتنا في الله أنقذتني من النار وشفعت لي، يستحضرني قوله تعالى: "الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ".

تم كُتِبَ الكتاب بِمَزيجٍ مِن الأَلمِ والأَمَل.

الكاتبة: مَجْد بَاسِم.

تم بحمد الله.